

مِنْ أَين تُؤخذ العقيدة، وما هي أُصولها؟

عباد الله!

في الجمع الخمس الماضية أجبنا على سؤال مهم، ألا وهو: لماذا العقيدة أولاً؟.

وتبين لنا أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وسعادة المجتمع المسلم في الدنيا والآخرة تكون بالعقيدة الصحيحة.

إخوة الإسلام! وعقيدتنا كما قلنا: تؤخذ من الكتاب والسنّة حتى لا نضل كما قال رسول ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدَهما: كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١)، وهما بين أيدينا، وقلنا: إن هذه العقيدة التي أخذناها من الكتاب والسنّة لا بد أن تفهم كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون والأئمة الأعلام ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين؛ استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نقتفي آثارهم ونسلك نهجهم، هم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. وقال رسول الله ﷺ: «... **فإنه من يعش**

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي ـ أي بطريقتي ـ وسنّة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»(١).

وقال ﷺ: «... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢).

إخوة الإسلام! أقولها وعلى الملأ؛ لأنها عقيدة وأدين الله بها حتى ألقاه:

منهجنا في دراسة العقيدة أن نأخذ عقيدتنا من الكتاب والسنّة فقط، وأن نفهمها كما فهمها الصحابة والتابعون والأئمة الأعلام ومن سار على نهجهم، وكما قالوا: الخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خَلَف.

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وهذه الأصول أخذناها من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وجبريل عليه السلام يقول لرسولنا ﷺ: فأخبرني عن الإيمان؟ قال ﷺ: «**أنْ تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمِنَ بالقدرِ خيرهِ وشرِّهِ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/١٢٦)، ك: (١/١٧٤)، [«ص.ج» (٢٥٤٩)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٨).

إخوة الإسلام! العقيدة كلها تعود إلى هذه الأصول الستة، وهذه الأصول هي التي سنتكلم عنها أصلاً أصلاً بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

ولكن قبل أن نبدأ بالحديث عن الأصل الأول، وهو الإيمان بالله، يجب علينا جميعاً أن نعلم أن العقيدة الإسلامية لا تقبل التجزئة فهي وحدة واحدة مترابطة أشد الارتباط، فمن آمن بأصل وكفر بأصل فهو كافر، ومن آمن بالأصول الخمسة وكفر بواحدٍ فهو كافر، ومن آمن بكل الأصول وكفر برسول واحد فهو كافر، فالذين يؤمنون بكل الرسل ويكفرون بمحمد ﷺ، فهم كفارٌ عند الله ويخلدون في نار جهنم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] إذاً يجب علينا جميعاً أن نؤمن بهذه الأصول الستة وما يتفرع عنها، وأن نضع ذلك في قلوبنا ونعقدها على ذلك وندين اللّهَ بذلك حتى نلقاه.

إخوة الإسلام! ولكن هذه العقيدة في القلب لا تكفي وحدها! بل لا بد لها من نطق باللسان وعمل بالجوارح؛ فالعقيدة التي تسكن في القلب ولا ينطق بها اللسان ولا تعمل بها الجوارح، عقيدة خاوية باردة لا تستحق أن تسمّى عقيدة، لا بد أن ينطق اللسان بما وقر في القلب ولا بد أن يظهر على الجوارح أثر ما اعتقده القلب.

وبالمثال يتضح المقال: فهذا أبو طالب يعلم علم اليقين أن دين محمدٍ هو الحق، وأن رسول الله ﷺ هو رسولٌ من عند الله، وقال في ذلك:

ودعوتني وعرفت أَنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أَمينا
وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنه ... مِنْ خير أَديان البرية دينا
لولا الملامة وحذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكنه ـ مع هذا العلم ـ لم ينطق بالشهادتين، ولم تعمل جوارحه بالإسلام فمات كافراً. فالمعرفة لا تنفع إلا بنطق اللسان وعمل الجوارح.

إذاً ـ ***عباد الله*** ـ: هناك علاقة بين العقيدة والإيمان؛ فالعقيدة هي أصل الإيمان، والإيمان له شطران: عقيدة صحيحة نقية تستقر في القلب، وعمل يظهر على الجوارح؛ فعقيدة بدون نطق باللسان وعمل بالجوارح لا تنفع! عمل ونطق بدون عقيدة ـ أي: عقيدة فاسدة ـ لا تقبل فلا بد من الاعتقاد والعمل.

ولذلك عَرَّفوا الإيمان بأنه: [نطق باللسان، واعتقاد في القلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية]، فإذا جاء إنسان يريد أن يدخل في الإسلام فلا بد أن ينطق بالشهادتين، وأن يعتقد في قلبه معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن تعمل جوارحه بمقتضى هذه الشهادة.

إخوة الإسلام! فمن نطق بلسانه، وعمل بجوارحه ولكنه كذَّب بقلبه فهو أمامنا مسلم، ولكنه عند الله منافق، من نطق بالشهادتين وصلَّى وصام وحج وجاهد، ولكنه كذّب بقلبه وعادى هذا الدين باطناً، فهو أمامنا مسلم ولكنه عند الله منافق، لماذا؟ لأن المنافقين قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] فشهدوا وصلوا وصاموا، ثم قالوا: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤]، ولكن مع ذلك هم في الدرك الأسفل من النار، فكم من الناس في هذا الزمان العجيب يدَّعي الإسلامَ والإسلامُ منه بريء!!.

• كذلك من علم بقلبه ولم ينطق بلسانه ولم تعمل جوارحه كذّبناه! لأن المعرفة لا تنفع وحدها، فهذا فرعون يعلم ويعرف أن موسى جاء بالبينات من ربه ومع ذلك جحدها وعادى موسى ومن معه، وهؤلاء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يعلمون أن محمداً جاء بالحق من عند ربه، يقول ـ جل وعلا ـ في وصفهم: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ومع ذلك عادَوْا دينه إلى يومنا هذا وحاربوه ووقفوا في وجه دعوته! فالمعرفة لا تنفع وحدها.

حتى إبليس يعلم أن هناك إلهاً، ويعلم أن هناك بعثاً وقيامةً؛ قال ـ تعالى ـ على لسانه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ويعلم أن هناك جنةً وناراً، ويعلم أنه يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير،

ومع ذلك جنّد نفسه وجُنده لمحاربة الحق وأهله! إذاً المعرفة وحدها لا تنفع، فلا بد من النطق ولا بد من العمل ولا بد من الاعتقاد.

• كذلك من اعتقد في قلبه، ونطق بلسانه، وامتنع عن العمل ـ كما نرى كثيراً من الناس ـ فهو عاصٍ لله ولرسوله؛ لأن الله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾ [التوبة: ١٠٥] وهو لا يعمل! ورسولنا ﷺ يقول: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال**»[(٢)]، وهو لا يعمل! فهو على خطر عظيم. إذاً النجاة لا تحصل بالاعتقاد القلبي وحده، ولا بالعمل وحده ولكن الإيمان الصادق الذي ينجي من عذاب الله ويدخل صاحبه الجنة هو: اعتقاد في القلب، نطق باللسان، عمل بالجوارح.

وهذا الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنّة على أن الإيمان يزيد. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، فالمؤمن الصادق إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَ قلبهُ، وإذا سَمِعَ القرآنَ ازداد إيماناً.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: ٤].

ويقول ﷺ: «**الإيمان بضعُ وستون شعبةً، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٦٦)، م: (٢٦٤٧). (٢) **صحيح**: م: (١١٨).

(٣) **صحيح**: خ: (٩).

ويقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، ولذلك يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: (من فقه العبد أن يتعهد إيمانه وما نقص منه).

وكلٌ منّا يعلم أنه إذا جلس في مجلس علم ازداد إيمانه، وإذا جلس في مجلس غيبة نقص إيمانه.

وكلٌ منّا يراقب إيمانه إذا نظر في كتاب الله أيزداد أم ينقص؟!، وإذا نظر إلى الكاسيات العاريات في الشوارع أَيجدهُ يزداد أم ينقص؟!.

فما هي الأسباب التي تزيد الإيمان؟.

أولاً: العلم الشرعي:

علم الكتاب والسنّة يا طلاب العلم! العلم الشرعي يزيد الإيمان، كلما ازداد الإنسان علماً يبتغي به وجه الله ازداد إيمانه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: أخشى الناس لله العلماء الذين تعلموا العلم يبتغون به وجه الله والدار الآخرة لا يتعلمون العلم رياءً وسمعةً، لا يتعلمون العلم ليصيبوا به عرضاً من أعراض الدنيا، لا يتعلمون العلم ليتصدَّروا المجالس، تعلموا العلم ابتغاء وجه الله فازدادوا إيماناً بالعلم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال الصحابة رضوان الله عليهم: (تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً).

ثانياً: الطاعة والاستقامة تزيد الإيمان:

ولذلك قال رجل: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

أحداً بعدك. قال ﷺ: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[(١)]. فالإيمان يحتاج إلى استقامة، والاستقامة على الإيمان تزيد في الإيمان ـ علاقة وثيقة ـ فلا يستغني الإيمان عن الاستقامة، ولا تنفع الاستقامة بدون الإيمان؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، فلما استقاموا ازداد الإيمان، ولما ازداد الإيمان دفعهم إلى الاستقامة وإلى الأعمال الصالحة.

أين الصلاة يا عباد الله؟! أين الزكاة؟! الذين لا يعرفون المسجد إلا يوم الجمعة! الذين لا يَصِلون الأرحام! الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر!.

أَين هم من الاستقامة المأمور بها؟!.

ثالثاً: ذكر الله بما هو مشروع وبما جاء عن رسول الله ﷺ:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، إذا وجدت نفسك ذاكراً لله فاعلم أن إيمانك بخير، وإذا وجدت نفسك غافلاً عن ذكر الله فاعلم أنك على خطر.

يقول بعض الصحابة: (الإيمان يزيد وينقص. قالوا: وما هي زيادته ونقصانه؟ قال لهم: إذا ذكرنا الله وسبّحناه وحمدناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه).

المعصية تنقص الإيمان، فإذا انغمس الإنسان في المعاصي ليلاً ونهاراً ربما خرج من الإسلام؛ لأن مِنْ عقيدة السلف: أن الإيمان يزيد بالطاعة حتى يصل إلى كماله، وينقص بالمعصية حتى يزول! فلا يبقىٰ منه شيءٌ، ولأن كثيراً من الناس إذا انغمسوا في المعاصي استحلّوها، وإذا استحلّوا المعاصي كفروا؛ قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو**

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[١].

والناس في تقسيم أهل المعاصي طرفان ووسط:

الطرف الأول: يكفِّرون الناس بكل ذنب، فمن ارتكب معصية فهو عندهم كافر وخارج عن الإسلام ولا يدفن في قبور المسلمين ويحل ماله ودمه وعرضه، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة ومن سار على نهجهم حتى اليوم، وهذا فِكْرٌ سيئ وضلال مُبين! نقول لهؤلاء: يقول ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢]، وهؤلاء الذين يكفّرون بكل ذنب أوقعوا الأمة في نار الفتنة، فنبرأ إلى الله من فكرهم ومن عملهم.

طرف آخر: لا يكفِّرون أبداً! يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، وهؤلاء هم المرجئة، وهذا مذهبٌ خبيثٌ، وضالٌّ، وأفكارهم موجودة بين الناس، ترى كثيراً من الناس لا يصلي ولا يصوم ولا يحج وتراه يشرب الخمر ويأكل الربا ويعق والديه، ويقول: المهم القلب والله غفور رحيم، فهؤلاء جرَّأوا الناس على المعاصي، فهؤلاء يكفِّرون بكل ذنب، وهؤلاء لا يكفِّرون أبداً، إفراط وتفريط.

أما الفرقة الناجية ـ اللّهم اجعلنا منهم ـ فلا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بكل ذنب إلا إن استحلَّه، ولا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، فعقيدتنا: لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله، وهذا رد على الخوارج، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وهذا ردٌّ على المرجئة، ولكن نقول: الذي يرتكب المعاصي على خطرٍ عظيم ولكن لا نكفّرهُ إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

أما إذا أكل الربا، وهو يعتقد أنه حرام، فهو مرتكب لكبيرة، فإن مات على الإسلام فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه لارتكابه هذه الكبيرة. لنا الظاهر والله يتولّى السرائر يوم القيامة.

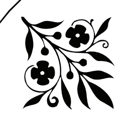
اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً

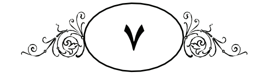
---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٥)، م: (٥٧). (٢) **صحيح**: خ: (٥٧٥٢).



الأصل الأول
الإيمان بالله



توحيد الربوبية

عباد الله! قلنا في الجمعة الماضية: إن العقيدة هي أصل الإيمان؛ وقلنا: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقلنا أيضاً: إننا لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بكل بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وقلنا أيضاً: إن العقيدة الصحيحة تقوم على أصولٍ ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وإن شاء الله تعالى نبدأ من هذا اليوم في الحديث عن الأصل الأول منها ألا وهو **الإيمان بالله**.

الإيمان بالله معناه: أنه يجب على المسلم أن يوحِّد ربَّه في ربوبيته وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وموعدنا في هذا اليوم مع النوع الأول من هذه الأنواع ألا وهو **توحيد الربوبية** ومعناه: أَنه يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً لا شك فيه أن الله ﷻ هو ربّ كل شيء، وأنه خالق كل شيء، وأنه المالك لكل شيء، وأنه الرازق، والمحيي والمميت، والنافع والضار، وأنه سبحانه إليه ترجع الأمور كلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

هذا اعتقاد يجب أن يكون في قلب المسلم، وهذا ـ يا عباد الله ـ أخذناه من كتاب ربنا، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه ربُّ كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه خالق كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو المالك لكل شيء. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الرزاق. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الذي ينفع ويضر. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه سبحانه هو الذي يحيي ويميت. قال ـ تعالى ـ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

وأخبرنا ربنا في كتابه أنه هو سبحانه من يدبر أمر الخلق. قال ـ تعالى ـ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ [يونس: ٣].

وأخبرنا ربنا في كتابه أن الأمر كله له سبحانه. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

إخوة الإسلام! هذا الكون الذي نعيش فيه هو آيات بينات تدل على توحيد الربوبية حتى لا يكون للناس على الله حجة، فالله ﷻ كرَّمك أيها الإنسان بأن جعل لك عقلاً لتفكر، وجعل لك سمعاً لتسمع، وجعل لك بصراً لتبصر، ولكن وللأسف الشديد كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ كالدواب بل هم أضل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فالله ﷻ يأمر الإنسان أن ينظر إلى السماء ليعرف من رفعها بلا عمد، ويأمر الإنسان أن ينظر إلى الأرض التي يدب عليها ليعرف من بسطها وثبتها حتى لا تميد بأهلها، ويأمر ربنا الإنسان أن ينظر إلى الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمّى، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

ويأمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه وما يأكل ليعلم أن (لا إله إلا الله)، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢]. ويأمر ربنا ـ جلّ وعلا ـ الإنسان أن ينظر إلى نفسه، فإذا نظر أحدنا إلى نفسه وفكّر قال: لا إله إلا الله، وعلم أنه (لا إله إلا الله): ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨].

ثم بعد ذلك أمر ربنا الإنسان أن ينظر أمامه وخلفه وفوقه ليعلم أن

(لا إله إلا الله)، فينادي ربنا علينا ليعرف الناس ربَّهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

إذا نظر العاقل إلى أي مخلوق في هذا الكون علم أنه (لا إله إلا الله)، وعلم أن في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، ثم بعد ذلك نسمع كلاباً تنبح في هذا العصر العجيب فتقول: لا خالق لهذا الكون ولا رازق! أما تسمعون الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق الذين يقولون بأن الطبيعة هي التي تخلق!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

عباد الله! الكفار الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره يعترفون أن الخالق هو الله، وأن الرازق هو الله، وأن المحيي والمميت هو الله. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

نعم، يعترفون أن الخالق هو الله، ما سمعنا عبر التاريخ أحداً قال إنه هو الذي خلق السمٰوات، أو هو الذي خلق الأرض! وقد أخبرنا ربنا عن النمرود عندما قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾

[البقرة: ٢٥٨]، فقال النمرود بجهله: أنا أحيي وأميت، فلم يجادله إبراهيم ولكن قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم تأتي الملاحدة في هذا العصر يقولون: لا خالق! وهم يعلمون بفطرتهم أن الخالق هو الله، ولكن جحدوها بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً.

إخوة الإسلام! الراعي للإبل في الصحراء، إذا فكر عرف الحقيقة فهذا راعٍ للإبل يفكر ويقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على العليم الخبير؟!!.

وهذا موقف سمعنا به وقرأناه يدل على أن الملاحدة والكفار إذا تعرضوا لشدة لا يدعون إلا الله، فهذه طائرة في جو السماء مليئة بالملاحدة الكافرين ـ وفيهم من يشرب الخمر ـ وفجأة اختلَّت الطائرة وأخذت تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، إنه لموقف رهيب! أيقنوا جميعاً الهلاك ـ ولا يُقدِّر هذا الموقف قدره إلا من تعرَّض له ـ الطيار لا يملك للطائرة شيئاً، والركاب لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة، وإذا بالقلوب تتجه إلى ربها، وإذا بالألسنة تتجه جميعاً تقول: يا رب! كلٌ بلغته، فنجاهم الله ونزلوا إلى الأرض، وبعد أن وصلوا إلى بلادهم رجعوا إلى الكفر والإلحاد مرة ثانية! ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧].

الشاهد أنهم عرفوا ربهم في الشدة، وهذا في كتاب الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢] فلما نجاهم أشركوا، وهذا دأب الإنسان إذا لم يمتلئ قلبه بالعقيدة الصحيحة.

فتبين من ذلك أن الكفار يعترفون بهذا التوحيد ـ توحيد الربوبية ـ

كما سمعتم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومع ذلك فإنهم إذا ماتوا على هذا التوحيد فقط ولم يعبدوا الله ﷻ فلن يشموا رائحة الجنة ولن يدخلوها؛ بل سيخلدون في نار جهنم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، فإيمانهم أنهم يقولون: الخالق هو الله، والرازق هو الله... وشركهم أنهم عبدوا مع الله آلهةً أخرى آمنوا وأشركوا؛ لأنهم عرفوا الخالق والرازق وعبدوا غيرَه!.

إخوة الإسلام! ولعل سائل يسأل فيقول: المسلمون في كل مكان يُذَبَّحون ويقتلون ويسجنون ونحن لا زلنا نتكلم في العقيدة؟! نقول: نعم، نتكلم في العقيدة وهي أولاً. لماذا؟ لأَننا بالعقيدة ننتصر ونمكن في الأرض، وبالعقيدة نتحصل على العزة وتأتلف القلوب، فالله ﷻ وعد ووعده الحق فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وهؤلاء هم أصحاب العقيدة الصحيحة.

وهل في الأمة الإسلامية من يشرك في توحيد الربوبية؟! هل يوجد بيننا من يعترف أن الخالق هو الله والرازق هو الله... ثم بعد ذلك يشرك في هذا التوحيد! تعالوا واسمعوا ولا تتعجبوا، فربما يكون من هؤلاء من يجلس أمامنا، ولكن باب التوبة مفتوح على مصراعيه.

هذا رجل في عيد الأضحى الماضي يذبح أُضحيته، وبعد أن ذبحها أخذ مِنْ دمها ودهن سيارته من أسفل لماذا؟ يعتقد أن هذا الدم أو هذا الفعل يحفظ سيارته من العين ومن الحسد ومن الحوادث!! هذه عقيدة فاسدة وشرك، نقول لهذا الرجل: مَن النافع والضار؟ أتعتقد أن هذا الدم أو هذا الفعل يمنع العين!.

انظروا إلى كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، هذا يعلّق عيناً على

سيارته أو كفّاً، ـ والمصيبة أَنَّ هناك من المسلمين من يبيع هذه العين وتلك الكف ـ وهناك آخر يعلق نعلاً على سيارته! ترون ذلك أم لا؟ وهذه عقيدة فاسدة! وإذا سألته مَن النافع أو مَن الضار؟ يقول: الله! إذاً لماذا هذا النعل والكف على السيارة؟! ومن العجب العجاب ومما أدهشني يوماً إذ أنا أسير بسيارتي فوقفت أمامي سيارة عليها إشارة تدل على أن صاحبها طبيب فنظرت إلى مؤخرة السيارة، فإذا بنعلٍ معلق في مؤخرة السيارة! فقلت: سبحان الله! طبيب ويعتقد أن هذا النعل يحفظ سيارته من العين! ولكن لِمَ أتعجب، وهؤلاء الهنود تقدموا في الدنيا تقدماً عظيماً وحتى هذه الساعة يعبدون البقر!! وهؤلاء اليهود في أمور الدنيا علماء ومع ذلك يقولون: عُزير ابن الله!! فلا تتعجب إن رأيت إنساناً يحمل شهادات عُليا في الدنيا ويعلق كفاً وخرزةً على سيارته يعتقد أن ذلك يمنع الحسد! عقيدة فاسدة! شرك في الربوبية!! كما أن من المسلمين في بلاد المسلمين من يطوفون بالأولياء والصالحين؛ يطوفون بالقبور كما يطوفون ببيت الله الحرام ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله، حتى إنهم يعتقدون ويقولون: إذا اشتدت الأمور فعليكم بأصحاب القبور!!! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ورسولنا ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

إخوة الإسلام! ومن المسلمين من يخاف من الجن! والدليل على ذلك: أنك تراه يصلي، وإذا سألته: مَن بيده النفع والضرّ؟ قال: الله. ولكنه إذا بنى بيتاً جديداً فإنه يأتي بذبيحة يذبحها على سقف البيت حتى يسيل دمها! وهو يعتقد أن ذلك يحفظه من الجن! وكذلك يفعله أَحدهم إذا اشترى سيارة، وإذا سكن بيتاً جديداً وإذا حفر بئراً يظن ويعتقد أنها تحفظه من الجن! أرأيتم ذلك! عباد الله! هذه الذبيحة حرام ولا يجوز أن يؤكل

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١١/ ١٧٨)، طس: (٥/ ٣١٦)، هب: (١/ ٢١٦)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

منها، وصاحبها قد أشرك بفعله في توحيد الربوبية! أما إذا بنيت بيتاً جديداً فلا مانع أن تذبح ذبيحة لله فهي نعمة من الله، وشكر النِعم واجب، ثم تقوم بتوزيعها على الفقراء؛ أَنْ منَّ الله عليك بهذا البيت الجديد. وهناك كثير من الناس يخافون من السحرة أكثر مما يخافون من الله، ويعتقدون أن الساحر يضر وينفع! لا والله! لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف. ومن النساء مَن إذا سمعت أن زوجها يريد أن يتزوج عليها، فإنها تهرول إلى السحرة وهي تعتقد أنها إذا صنعت له حجاباً امتنع أن يتزوج عليها! عقيدة فاسدة!!.

ورجل لا ينجب الأولاد يهرول إلى السحرة؛ يعتقد أنهم إذا صنعوا له حجاباً أنجب الأولاد! عقيدة فاسدة! أما تقرؤون القرآن! يقول ربنا ـ جلّ وعلا ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] فهو عليم بأحوال عباده، قدير على أن يعطي هذا ويمنع هذا، ولو كنا نؤمن أن الله ﷻ بيده الأمر كله ما فعلنا ذلك.

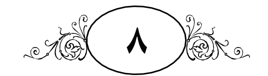
إخوة الإسلام!

شرك في الربوبية واقع بين المسلمين وفي بلاد المسلمين! فيجب على كل إنسان وقع في نوعٌ من أنواع الشرك أن يتوب إلى الله، وأن يرجع قبل فوات الأوان. اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد...

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁



مِنْ مظاهر الشرك في توحيد الربوبية

عباد الله! تكلمنا في الجمعة الماضية عن توحيد الربوبية وقلنا: إنه يجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله هو خالق كل شيء، وهو المالك والمدبر لكل شيء، وهو الرازق والمحيي والمميت، وهو النافع والضار، وهو الذي يدبر أمر العباد أجمعين وإليه يرجع الأمر كله. عقيدة راسخة في القلب، يموت الإنسان وهو يَدين اللّهَ بها، وقلنا في الجمعة الماضية: إن كثيراً من الناس يشركون في توحيد الربوبية وضربنا أمثلةً على ذلك، كما قال ربنا ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

إخوة الإسلام! ولما كان الشرك وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة، فقد قررنا ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نتكلم أيضاً في هذا اليوم عن بعض مظاهر الشرك في توحيد الربوبية؛ تحذيراً من الوقوع فيه، وإن كان قد وقع فيه الكثير من الناس إلا من رحم ربي.

عباد الله! من مظاهر الشرك في توحيد الربوبية **[الطِّيَرةُ أو التشاؤم]**.

التطير وهو التشاؤم: عادةٌ كانت منتشرةً في الجاهلية قبل الإسلام، كان الرجل إذا خرج من بيته قاصداً السفر أو غير ذلك فرأى طائراً يطير من جهة اليمين إلى جهة الشمال رجع عن قصده إلى بيته متشائماً، وأما إذا خرج من بيته فوجد طائراً يطير من جهة الشمال إلى جهة اليمين مضى إلى قصده متفائلاً. فجاء ﷺ بهذا الدين العظيم وبهذا النور المبين إلى البشرية وهم يتقلبون في ظلمات الجهل فأبطل هذا المعتقد، وبيَّن لهم أن هذا الذي تتشاءمون منه لا يملك جلب نفع أو دفع ضر، وبيَّن لهم أن

التطير والتشاؤم شرك فقال ﷺ: «**الطِّيرةَ شِرك، الطِّيرة شرك، وما منّا إلّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»(١).

وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامة ولا صَفر**»(٢). وقال ﷺ: «**ليس منّا من تطيَّرَ ولا من تُطيِّرَ له، أو تكهَّنَ أو تُكهِّن له، أو تَسحَّرَ أو تُسحِّرَ له**»(٣).

ورُبَّ سائل يسأل: **لماذا كان التشاؤم أو التطير شركاً؟**.

الجواب: لأن المتطير أو المتشائم يعتقد في قلبه أن الذي تطيَّر أو تشاءم منه قادر على أن يضره، وهذا ينافي كمال التوحيد، وهذا ينافي كمال الإيمان، فالمؤمن الصادق الموحّد يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، ويعلم بأن الأمر لله ﷻ وحده، ولذلك يجب على المسلم إذا مضى إلى أمرٍ ما فتشاءَم منه، أن يمضي متوكلاً على الله، فإن رجع متشائماً فقد أشرك.

والتشاؤم والتطير ينافيان التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب.

يعتقد الكثير أنه إذا سمع كلباً ينبح ليلاً، فإن ذلك يبشر بأن أحداً سيموت! ويعتقد الكثير أن البومة إذا وقفت على بيت فلان أو فلان فكأنها تنعى صاحب هذا البيت فيتشاءَمون! اعتقاد باطل! عقيدة فاسدة! ولو كانوا يعتقدون أن الأمر يرجع إلى الله وأنه سبحانه إليه يرجع الأمر كله ما تشاءموا، ولذلك بيَّن لنا ﷺ فقال: «**من ردَّته الطِّيرة عن حاجته فقد أشرك**»، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: «**يقول أحدهم: اللّهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»(٤).

---

(١) **صحيح**: د: (٣٩١٠)، هـ: (٣٥٣٨)، حم: (١/ ٣٨٩)، حب: (٦١٢٢)، ك: (١/ ٦٤)، خد: (٩٠٩)، [«س.ص» (٤٢٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٤٢٥).

(٣) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

(٤) **صحيح**: حم: (٢/ ٢٢٠)، [«س.ص» (١٦٠٥)].

إخوة الإسلام! وبالإضافة إلى أن التطير والتشاؤم شرك، فإنه خلقٌ ذميم من أخلاق المشركين والكفرة وأعداء الرسل، فإذا قرأنا القرآن وجدنا أن كفار مكة عندما بُعث فيهم محمد ﷺ تشاءموا منه وتطيروا منه، قال ـ تعالى ـ: **﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾** [النساء: ٧٨].

وكذلك قوم صالح قالوا لنبي الله صالح: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل: ٤٧]؛ أي: تشاءمنا بك وبمن جاء معك.

وكذلك أصحاب القرية قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس: ١٨]؛ أي: تشاءمنا بكم. فالتشاؤم والتطير شرك وخلق ذميم.

إخوة الإسلام! ومن مظاهر الشرك في توحيد الربوبية أيضاً: [الرُّقى، والتمائم، والتِّوَلَة].

قال ﷺ: «**إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّولة شركٌ**»[1].

ما هي الرقى؟ هي العزائم؛ أي: ما يقرأُ على المريض، ومنها ما هو جائز شرعاً، ومنها ما هو شرك، والرسول ﷺ قال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[2]. وثبت أن جبريل عليه السلام رقى النبي ﷺ، وثبت أن النبي ﷺ رقى أصحابه، وأن الصحابة رقى بعضهم بعضاً. ولذلك أجمع العلماء على جواز الرقى ولكن بثلاثة شروط، كما قال الإمام النووي رحمه الله وغيره، فانتبهوا يا عباد الله؛ لأن في هذا الزمان فريقاً من الناس جَنّدوا أنفسهم للرقى، ويشار إليهم بالبنان حتى إن أحدهم يقول في المجلس: أنا

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٥٣٠)، حم: (١/ ٣٨١)، حب: (٦٠٩٠)، طب: (١٠/ ٢١٣)، [«ص.ج» (١٦٣٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٠٠).

أَرقي وأنا أُخرِّج الجن! ولم يدرِ المسكين أن هذه تزكية منه لنفسه، والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]، وليس العيب أن تخطئ، ولكن العيب أن تبقىٰ مصرًّا على الخطأ.

إخوة الإسلام! الرُّقَى مشروعة بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون بكلام الله [أي بشيء من القرآن]، مثل: الفاتحة، وآية الكرسي، والمعوذتين، ويجوز أن ترقي نفسك وأن ترقي غيرك، فالقرآن كلام الله فيه شفاء للمؤمنين.

الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي وبما يفهم معناه، فما كان من كلام لا يفهم أو كتابة أو رسومات لا تعرف، فهو من فعل السحرة والمشعوذين ولا يجوز ذلك أبداً.

وجاء في السنّة ما يثبت ذلك، فقد صح أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال ﷺ: «**نعم**». قال جبريل ـ راقياً الرسول ﷺ ومعلماً للأُمة ـ: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يُؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك**»[1].

تعلموا يا عباد الله! تركنا ديننا وتعلمنا ما يُعرضُ لنا على شاشات المفسديون! كم منا من يحفظ هذا الدعاء حتى يرقي نفسه وأولاده بدلاً من أن يذهب إلى الكهنة والمشعوذين؟ ولكن كل منّا يحرص أن يأتي لبيته بالقنوات فوق القنوات عبر المفسديون، أما أن يتعلم دينه فلا! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وثبت أن النبي ﷺ كان يعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة**»[2].

كيف يرقي أحدنا نفسه؟ قال ﷺ لمن وجد ألماً في جسده: «**ضع يدك على الذي يَألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات:**

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٨٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٩١).

أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[(١)]. إذن يستطيع كل إنسان أن يرقي نفسه؛ لأن النافع والشافي هو الله، إذاً لا داعي أن يُنَصِّبَ أحدنا نفسه للرقية؛ فقد علَّمنا رسول الله ﷺ كيف يرقي أحدنا نفسه وأولاده، فإذا رأيت إنساناً مريضاً فلا بأس أن ترقيه بدون أن يطلب منك وتبتغي بذلك وجه الله، وتبتغي بذلك الدار الآخرة.

الشرط الثالث: أن يعتقد الراقي والذي يُرْقىٰ أن الرقى ليست هي الشافية بذاتها وإنما الشافي هو الله، أما الرقى فسبب كالدواء المشروع، فالشافي هو الله والدواء سبب، كذلك الشافي هو الله والرقى سبب؛ لأن الأمر كله يرجع إلى الله.

ومن مظاهر الشرك في توحيد الربوبية [التمائم]:

والتمائم جمع تميمة، والتميمة: ما يُعَلَّق على الأولاد، وعلى السيارات، وعلى الدور، وعلى الدواب من: كفّ، وعين، وخرزة، وغير ذلك.

يقول ﷺ: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**»[(٢)]، فالذي علَّق كفاً على سيارته فقد أشرك، والذي علَّق نعلاً على سيارته أو بيته فقد أشرك. كم من النساء تحمل حجاباً؟! وهناك امرأة كانت إذا أنجبت مات طفلها فقال لها الجهلة: اذهبي إلى فلان الساحر يصنع لك حجاباً فلا يموت طفلك! فذهبت وصنع لها الساحر حجاباً فوضعته على ابنها وقدَّر الله أن لا يموت الطفل، فهذه الأم الجاهلة تعتقد أن الحجاب إذا نُزِعَ عن ابنها فإنه سيموت فوراً! عقيدة فاسدة! شرك! ولو ماتت على هذه العقيدة ما أفلحت أبداً؛ لأنها تعتقد أن الضار والنافع هو الساحر والمشعوذ.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٠٢).

(٢) **صحيح**: حم: (٤/١٥٦)، مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٢/٦٠٠)، [«ص.ج» (٦٣٩٤)].

ومن مظاهر الشرك أيضاً: [التِّوَلَةَ]:

والتِّوَلَةُ: ضرب من ضروب السحر يكثر بين الناس، يفعله السحرة.

المرأة إذا عرفت أن زوجها يريد أن يتزوج عليها هرولت إلى الساحر فصنع لها هذه التولة في حجاب تظن أنها تتحبب به إلى زوجها.

والرسول ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتولة شرك**»[١].

والرسول ﷺ يقول: «**من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه**»[٢].

إذاً تبين لنا أن الطيرة شرك، وتبيَّن لنا أَنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك.

والشرك يا عباد الله ظلمات بعضها فوق بعض، وبالٌ في الدنيا والآخرة، والشرك من أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**». قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، ـ وجلس وكان متكئاً ـ فقال: «**ألا وقول الزور**» قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٣].

الشرك من أعظم الذنوب؛ سأل ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: أي الذنب أعظم؟ فقال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[٤]؛ أي: تشرك بالله وهو خلقك.

الشرك يحبط الأعمال، فإن تأتي يوم القيامة بأعمال حسنةٍ كالجبال وأنت مشرك، فلن تجد لها ثواباً عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٥٣٠)، حم: (١/ ٣٨١)، حب: (٦٠٩٠)، طب: (١٠/ ٢١٣)، [«ص.ج» (١٦٣٢)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٠٧٢)، حم: (٤/ ٣١٠)، ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٥/ ٣٦)، [«غاية المرام» (٢٩٧)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

الشرك لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

الشرك يَحْرِمُ صاحبه من الجنة ويدخلُه النارَ. قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

النافع هو الله والضار هو الله، فالمؤمن الموحِّد صاحب العقيدة السليمة يعيش في الدنيا مطمئناً قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلَّه له خيرٌ، وليسَ ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابتهُ سراءُ شكرَ فكان خيراً لهُ، وإن أصابتهُ ضراءُ صَبَرَ فكانَ خيراً لهُ**»(١).

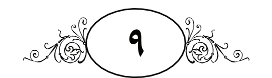
وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يا غلام، إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢)، فالأمور ترجع إلى الله، إليه يرجع الأمر كله.

اللّهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، وقلباً خاشعاً
ولساناً ذاكراً، وجسداً على البلاء صابراً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ك: (٣/ ٦٢٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].



توحيد الأُلوهية

عباد الله!

في الجمع الماضية تكلمنا عن توحيد الربوبية وعن مظاهر الشرك فيه وتبين لنا أن كثيراً من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ يقعون في هذا الشرك كما أخبر ربنا ـ جلَّ وعلا ـ فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع النوع الثاني من أنواع التوحيد، ألا وهو **توحيد الألوهية**.

ومعناه: أنه يجب على المؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ وحده هو المستحق للعبادة دون سواه، فلا معبود بحق إلا الله؛ لأن الله ﷻ هو الحق وما يدعون من دونه هو الباطل، فالذي يعبد غير الله لا عقل له!

وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن، وهو: لماذا الله وحده هو المستحق للعبادة؟.

الجواب: لأن الله ﷻ هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يحيي ويميت، وهو المالك المدبر لكل شيء، وهو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى وأن يُعبد، كما قال ـ تعالى ـ عن نفسه: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦]، والله ﷻ في كتابه يُذَكِّر عباده بذلك ويقررهم به، فإن اعترفوا دعاهم إلى عبادته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا

يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، والناسُ عبر التاريخ يعترفون أن الأرض لله، وأنه هو الذي خلقها وهو يورثها من يشاء من عباده، فجعلهم يعترفون، ثم بعد ذلك دعاهم لعبادته، كما قال ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١، ١٠٢]، فالذين يعبدون البقر! والذين يعبدون الشمس والقمر والدينار والمنصب! هلَّا عبدوا الذي خلقهم!! لكن إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

إخوة الإسلام: العبادة ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، الظاهرة مثل: الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك، والباطنة مثل: الخوف والرجاء والإنابة والتوكل والحب وغير ذلك.

كلها تُصْرَفُ لله وحده، وهذه العبادات لا تقبل عند الله ﷻ يوم القيامة ولا يجد صاحبها عند الله ثواباً إلا بأربعة شروط، فانظر ـ يا عبد الله ـ هل تُحقِّقُ هذه الشروط في كل عباداتك لله ـ تعالى ـ، أم أنك تصلّي لله وتذبح لغير الله؟!.

الشرط الأول ـ الإيمان الصادق: قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾

[الكهف: ١٠٧] إيمان وعمل صالح، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. وقال ﷺ للرجل: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[١].

أعمالٌ صالحة مع إيمان صادق تقبل عند الله، أعمال صالحة مع عقيدة فاسدة لا تقبل عند الله، الإيمان أولاً، العقيدة أولاً، ثم الاستقامة؛ فالأعمال تأتي بعد العقيدة والإيمان، والأخلاق تأتي بعد العقيدة والإيمان، والأدب يأتي بعد العقيدة والإيمان، فلو كان الأدب أولاً لقال ﷺ للرجل: استقم، ثم قل: آمنت بالله! لكنه قال له: «**قل: آمنتُ بالله، فاستقم**»، فالعقيدة أولاً قبل كل شيء، قبل الصلاة، وقبل الأمر بالمعروف، وقبل النهي عن المنكر.

الشرط الثاني ـ الإخلاص لله: والإخلاص في العمل: هو أن تبتغي بعملك وجه الله! إن صليت تصلي لله، لا رياء ولا سمعة، وإذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر تبتغي بذلك وجه الله، وهكذا، كل أعمالك الصالحة تكون لله تبارك وتعالى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله) مخلصاً دخل الجنة**»[٢].

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية وإنما لِامْرِئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٣].

الشرط الثالث ـ موافقة العمل للسنّة: لا تبتدع في دين الله، وإياك

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).
(٢) **صحيح**: طس: (٢/٥٦)، حل: (٩/٢٥٤)، [«ص.ج» (٦٤٣٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦٣١١)، م: (١٩٠٧).

ومخالفة السنّة؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١).

الشرط الرابع ـ الابتعاد عن الشرك:

فالشرك يحبط الأعمال، فإن تأتي يوم القيامة بأعمالٍ كالجبال ولكنك قد أشركت بالله سبحانه، فسَتُرَدُّ عليك أعمالُك؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، قال ﷺ: «**قال الله ـ تعالى ـ: من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(٢)، والله وصف عباده المتقين أنهم لا يشركون؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩]. والعجب كل العجب من امرأة تصلي عندنا وتسمع المواعظ ومع ذلك في كل عام تذبح لشعيب وتتقرب بذلك إلى الله! والحمد لله أنها بعدما سألت وعرفت الحق تابت وأنابت إلى الله، فنسأل الله أن يقبل توبتها، فالله تعالى يقول آمراً محمداً ﷺ وأمته من بعده: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

إخوة الإسلام: توحيد الألوهية من أهم أنواع التوحيد؛ ومن أجله خلق الله السمٰوات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣]، ومن أجل هذا التوحيد خلقك الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] كلنا يحفظها، خلقت لعبادة الله،

---

(١) **صحيح**: م: (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٨٥).

ما خلقت يا عبد الله لتكون عبداً للدنيا! وما خلقت ـ يا عبد الله ـ لتكون عبداً للدينار أو غير ذلك، إنما خلقت لتكون عبداً لله.

● من أجل هذا التوحيد أرسل الله الرسل للبشرية، جاؤوا ليبينوا للناس كيف يعبدون الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وما من رسول جاء إلى قومه إلا وهو يدعوهم فيقول: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

● من أجل هذا التوحيد أنزل الله الكتب؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود: ١، ٢].

توحيد الألوهية الذي معناه: لا معبود بحق إلا الله، هو حق الله على العباد، فحق الله على العباد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً؛ قال ﷺ: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يُعْبَدَ الله ولا يشرك به شيئاً**»(١). كم منا من ضيع حق الله في نفسه وفي أهله وفي أولاده؟!!.

توحيد الألوهية هو حق الله على العباد، فإن أدَّينا حق الله علينا حصل لنا ما نريده ونأمله، فمن ذلك:

أولاً: رفع الله عنا العذاب في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «**أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن لا يعذبهم**»(٢).

(١) **صحيح**: خ: (٥٩١٢)، م: (٣٠). (٢) **صحيح**: المصدر السابق.

ثانياً: مَكَّنَنَا الله في الأرض؛ أي: أقام لنا دولة الإسلام في الأرض، فإلى الذين يتشدقون ليلاً ونهاراً بإقامة دولة الإسلام نقول لهم: لن تكون هذه الدولة إلا بعد أن نؤدِّي حق الله علينا، ولا يختلف اثنان بأننا مقصِّرون في حق الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمّد: ٧]، فهل نصرنا الله وأدينا الصلاة في وقتها؟! هل نصرنا الله فامتنعنا عن الربا؟! هل نصرنا الله فأقمنا شرعه؟!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، كلُّ ذلك يحصل لنا بشرط تحقيق توحيد الألوهية.

ثالثاً: حفظنا الله من كيد شياطين الإنس والجن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، والشيطان قد استحوذ علينا ـ إلا من رحم ربي ـ فأنسانا ذكر الله، فطوال اليوم نركض وراء الدنيا وبالليل نعكف على المفسديون، فالله المستعان.

أمة الإسلام: طال النوم وطال الرقود، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]، أما آنَ الأوان أن نعود إلى الله؟! أما آن الأوان أن نحجِّب نساءنا؟ أَما آنَ الأوان أن نعود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟!.

رابعاً: عشنا في أمن وأمان؛ فالأمن والأمان لن يكونا إلا إذا أصبحنا عبيداً لله وحده، فكلنا سيشعر بالأمن والأمان على نفسه وعلى ماله وعلى زوجه وأولاده حينئذٍ؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

إذاً فلاح الدنيا والآخرة بتحقيق هذا النوع من التوحيد؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

اللّهم رُدَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

* * *

١٠

معنى (لا إِله إلَّا الله) وشروطها

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الألوهية وقلنا: إن معناه أنه يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً أن الله وحده هو المستحق للعبادة، أي: لا معبود بحق إلا الله. وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

• وموعدنا في هذا اليوم مع (لا إله إلا الله).

أمة الإسلام: (لا إله إلا الله)، هي كلمة التوحيد التي من أجلها خلق الله الخلق؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من أجلها قاتل الرسول ﷺ، ومن أجلها استُشهد الصحابة رضوان الله عليهم، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[١].

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من قالها وشهد أن محمداً رسول الله دخل في الإسلام وأصبح من المسلمين وحَرُمَ ماله ودمه؛ قال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله)، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله**»[٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٣).

• (لا إله إلا الله) أعلى شعب الإيمان قال ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول (لا إله إلا الله)، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»(١).

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي من قالها وهو على فراش الموت ثم صعدت روحه إلى بارئها دخل الجنة، قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»(٢).

• (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد التي تمنع صاحبها من الخلود في النار، قال ﷺ: «**فإن الله حرَّم على النار من قال: (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله**»(٣).

وفي حديث الشفاعة يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ لملائكته: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»(٤).

أمة الإسلام: اعلموا أنَّ (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد التي شهد الله بها لنفسه، وشهد له ملائكته وأولوا العلم من خلقه، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

إخوة الإسلام! **وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن: هل كل من قال: (لا إله إلا الله) نفعته في الدنيا والآخرة وكان من أهلها؟** الجواب: لا، لِمَ؟ لأن المنافقين في كل زمان ومكان يقولون: لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمداً رسول الله، ومع ذلك هم في الدرك الأسفل من النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]. وفي هذا الزمان العجيب كثير من الناس يقولون:

---

(١) **صحيح**: م: (٣٥).

(٢) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/ ٢٤٧)، ك: (١/ ٥٠٣)، طب: (٢٠/ ١١٢)، هب: (١/ ١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤١٥)، م: (٣٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٢)، م: (١٨٤).

(لا إله إلا الله) ويشهدون أن محمداً رسول الله، و(لا إله إلا الله) منهم بريئة! وهم في الدرك الأسفل من النار! لأنهم قالوها بأفواههم وكفرت بها قلوبهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٨، ٩]، قالوا: (لا إله إلا الله) بأفواههم وكذَّبوا بها بقلوبهم وكرهوا أهلها!!

أما من يقول: (لا إله إلا الله) ويأتي بشروطها ويعمل بمقتضاها، فهو الذي ينتفع بها في الدنيا والآخرة، ويكون من أهلها.

إخوة الإسلام: **لا إله إلا الله لها شروط ثمانية من جاء بها وعمل بمقتضاها انتفع بها في الدنيا والآخرة** وأصبح من أهلها، فها هي الشروط أضعها بين أيديكم وتُسألون عنها أمام الله يوم القيامة، فمن كان يريد أن ينجو من عذاب الله، فعليه أن يعلم هذه الشروط ويعمل بمقتضاها ليكون من أهل (لا إله إلا الله).

الشرط الأول [العلم بمعناها]: على من يقول: (لا إله إلا الله) أن يعلم معناها ـ والكثير يقول: (لا إله إلا الله) لا يفهم معناها ـ، قال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]. وقال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»(١).

اعلم يا عبد الله أن (لا إله إلا الله) نفيٌ وإثباتٌ: (لا إله) نفيٌّ، (إلا الله) إثباتٌ، فعليك أن تنفي الألوهية عن كل الآلهة وتثبتها لله وحده؛ لأن الله هو الحق وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل.

أمة الإسلام: والجهل بلا إله إلا الله أوقع الكثير من الناس في الشرك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فهاهم قوم موسى نجاهم الله من

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦).

عدوهم فلما عبروا البحر إلى الشاطىء الآخر ومروا على جماعة يعكفون على أصنام لهم يشركون بالله قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠]. فالذي يقول: (لا إله إلا الله) ويدعو غير الله جاهل بـ (لا إله إلا الله)، الذي يقول: (لا إله إلا الله) ويطوف بقبور الأولياء الصالحين جاهل بـ (لا إله إلا الله)، فيجب على قائلها أن يعلم معناها.

الشرط الثاني: [اليقين المنافي للشك]؛ أي على قائل (لا إله إلا الله) أن يكون مستيقناً بها قلبهُ، فالله ﷻ وصف في كتابه عباده المؤمنين الصادقين بأنهم لم يرتابوا؛ أي لم يشكوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]. وقال ﷺ: «**أشهد أن (لا إله إلا الله) وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**»[١]. وقال ﷺ لأبي هريرة: «**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن (لا إله إلا الله) مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**»[٢].

ووصف ربنا المنافقين أنهم يشكُّون في (لا إله إلا الله) فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، أي شكَّت قلوبهم فهم في شكهم يترددون، ولذلك فإن المنافق مذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

الشرط الثالث: [القبول لـ (لا إله إلا الله)] وما اقتضته (لا إله إلا الله) بقلبك ولسانك وجوارحك، فعلى قائل (لا إله إلا الله) أن يقبل ما جاءت به، فالله ﷻ وصف عباده المؤمنين الذين يقولون لـ (لا إله إلا الله):

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧).

(٢) **صحيح**: م: (٣١).

بالسمع والطاعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، ووصف المكذبين أنهم إذا قيل لهم: قولوا: (لا إله إلا الله) يستكبرون، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥]. كم من الناس في هذا الزمان إذا قيل لهم: قولوا: (لا إله إلا الله)، تحاكموا إليها، وعيشوا في ظلها، وجاهدوا من أجلها، تراهم يستكبرون؟! ويقولون: أئنا لتاركوا ألهتنا للمتطرفين والمتشددين!! فلا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

الشرط الرابع: [الانقياد والاستسلام لـ (لا إله إلا الله)]؛ أي على قائل (لا إله إلا الله) أن يستسلم لها ولما جاءت به؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤]؛ أي: ارجعوا إلى ربكم. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]؛ أي: ينقاد إلى الله وهو موحد، فإن فَعَلَ ذلك فقد استمسك بـ (لا إله إلا الله).

الشرط الخامس: [الصدق المنافي للكذب]، على القائل لـ (لا إله إلا الله) أن يقولها صادقاً من قلبه، وكثير من الناس يقولون: (لا إله إلا الله)، وهم من أكذب الناس!

قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]، وقال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**»[1].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٨)، م: (٣٢).

الشرط السادس: [الإخلاص]، على القائل لـ (لا إله إلا الله) أن يَصْرف عبادته لله وحده لا لغيره، ومن صرف من عبادته شيئاً لغير الله فقد أشرك ووقع في الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه**»[1]. وقال ﷺ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[2].

الشرط السابع: [المحبة لأهلها]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وقال ﷺ: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجدَ بِهِنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[3].

الشرط الثامن: [الكفر بالطواغيت]، والطاغوت هو: كل ما يُعْبَد من دون الله برضاه، فلو أن إنساناً رضي من الناس أن يعبدوه فهو طاغوت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال ﷺ: «**من قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه وحسابه على الله**»[4].

أسأل الله أن يفقهنا وإياكم في معنىٰ لا إله إلا الله
وأن يجعلنا من أهلها

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٩). (٢) **صحيح**: خ: (٤١٥)، م: (٣٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٥٤٢)، م: (٤٣). (٤) **صحيح**: م: (٢٣).

١١

من لوازم (لا إله إلَّا الله): الولاءُ والبراءُ

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن: (لا إله إلا الله) وقلنا: إن معناها أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، وقلنا: إن من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وجاء بشروطها وعمل بمقتضاها، فهو من أهلها وهو المنتفع بها في الدنيا والآخرة.

عباد الله: وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع قضية مهمة من القضايا التي تتعلق بـ (لا إله إلا الله) ألا وهي الولاء والبراء.

• الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله) أي: يجب على المسلم الذي قال: (لا إله إلا الله) صادقاً من قلبه أن يتبرأ من الكفر وأهله الذين كفروا بـ (لا إله إلا الله)، كما يجب عليه أن يحب الإيمان ويوالي أهله الذين قالوا: (لا إله إلا الله)؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال بعض الصالحين: إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحَّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين.

• الولاء والبراء دليل على كمال الإيمان؛ يقول ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[١].

• الولاء والبراء من أوثق عرى الإيمان؛ قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض**

---

(١) صحيح: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

في الله»[١].

• الولاء والبراء يجعلك من أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تناله ولاية الله عز وجل بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك**»[٢]؛ أي: يوالي في الله ويعادي في الله.

أمة الإسلام: **الولاء معناه:** الحب، والنصرة، والاتباع، والقرب، فقولنا: فلان يوالي فلاناً؛ أي: يحبه وينصره ويتبعه ويتقرب منه.

وولاء المؤمن يكون لله ولرسوله ولكل المؤمنين الذين قالوا: لا إله إلا الله، وجاؤوا بشروطها وعملوا بمقتضاها.

والدليل من كتاب ربنا قولُه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

إخوة الإسلام: وقد بيّن لنا ربنا في كتابه كيف كان الولاء بين المسلمين في الصدر الأول، ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة؛ لنكون مثلهم، لنحشر معهم يوم القيامة، فذكر لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ من صفات المهاجرين؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، صدقوا في ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فخرجوا من ديارهم وأموالهم حباً لله وولاء لله، وقال ـ جلَّ وعلا ـ في حق الأنصار

---

(١) **صحيح**: طب: (١١/ ٢١٥)، [«ص.ج» (٢٥٣٩)].

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣١٢)، و«جامع العلوم والحكم» (ص٣٠).

الذين استقبلوهم في المدينة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]، الأنصار استقبلوا المهاجرين في المدينة حباً لله وولاءً له، أعطوا أموالهم للمهاجرين، أسكنوهم في بيوتهم حباً لله.

والذين جاؤوا من بعدهم وساروا على نهجهم يحبون من سبقهم لله؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

المهاجرون خرجوا من ديارهم حباً لله، والأنصار استقبلوهم في ديارهم حباً لله، والذين جاؤوا من بعدهم يدعون لهم محبة لله، فإذا كان الولاء بين المؤمنين لله تَحَقَّقت الأُخوة بينهم كما وصفهم الله في كتابه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠]، و﴿إِنَّمَا﴾ هنا للحصر؛ أي: هذه الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين الصادقين، إنما المؤمنون إخوة بولائهم لله، عندها نصبح بولائنا الصادق لله كالبناء الواحد في قوته ـ ونحن في أمس الحاجة في هذا الزمان أن يكون الولاء بيننا لله ـ قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبك ـ ﷺ ـ بين أصابعه[1]. الولاء إذا كان بيننا لله، فإننا نصبح كالجسد الواحد في حساسيته؛ قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**»[2].

إن كان الولاء بيننا لله أنزل الله علينا رحمته؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

إخوة الإسلام: البراء معناه: البغض والكراهية والابتعاد والنفور، يُقال: فلان يتبرأ من فلان؛ أي: يبغضه ويكرهه ويعاديه وينفر منه، والبراء: يكون من المؤمن لكل من كفر بـ (لا إله إلا الله)، والبراء: عكس الولاء؛ أي: لا يجوز للمسلم أن يوالي الكفار مهما كانوا وأينما وجدوا؛ استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

إخوة الإسلام: وقد ضرب الله لنا مثلاً في كتابه بنبيّه إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه كيف تبرؤوا من قومهم؛ لأنهم كفروا بـ (لا إله إلا الله) لنتأسّىٰ بهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]. تأسّوا بإبراهيم والذين معه، انظروا ماذا قالوا لقومهم ولأقرب الناس إليهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

عباد الله: رُبَّ سائل يسأل: لماذا يجب على المسلم أن يتبرأ من الكفار؟ أي: لماذا يحرم على المسلم أن يوالي الكفار؟.

أولاً: لأنهم كفروا بـ (لا إله إلا الله)، والميزان عندنا هو الشرع، فمن آمن بـ (لا إله إلا الله) أصبح أخاً لنا في الإسلام، أما من كفر بـ (لا إله إلا الله) فإنا نتبرأ إلى الله منه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥].

ثانياً: لأن الكفار ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧].

ثالثاً: لأن الكفار لا يحبون المؤمنين؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

رابعاً: لأن الكفار يتمنون لنا بالليل والنهار أن نعود كفاراً كما كفروا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إخوة الإسلام: إذا عرف المسلم أن الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله) ـ أي: من العقيدة، أي: من الأمور التي يجب أن نعتقدها ونموت عليها، وعرف أن الكفار يعملون ليلاً ونهاراً حتى نرجع كفاراً بعد أن نجّانا الله من الكفر ـ فلا يجوز للمسلم **أولاً**: أن يوالي الكفار؛ استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ثانياً: لا يجوز للمسلم أن يتشبه بالكفار في أي أمر من الأمور التي هي مِنْ صفاتهم كاللباس وغير ذلك؛ استجابة لقوله ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[(١)].

ثالثاً: لا يجوز للمسلم أن يقيم بين أظهر الكفار، فالذين يهاجرون من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، ويتجنسون بجنسية الكفار ويعيشون بين أظهر الكفار فليعلموا أن من فعل ذلك فقد عصى الله ورسوله؛ يقول ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[(٢)].

رابعاً: لا يجوز للمسلم أن يتخذ بطانةً له من الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾ [آل عمران: ١١٨].

خامساً: لا يجوز للمسلم أن يستغفر للكافر ولو كان من أقرب الناس إليه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾ [التوبة: ١١٣].

سادساً: لا يجوز للمسلم أن يطيع الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وانظروا إلى أحوال المسلمين عندما أطاعوا الكفار! هذا لباسنا! وهذه بيوتنا! وهذه نساؤنا! تشبهنا بالكفار فانسلخنا من ديننا!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سابعاً: لا يجوز للمسلم أن يركن إلى الكفار؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، حم: (٢/ ٥٠)، طس: (٨/ ١٧٩)، عب: (١١/ ٤٥٣)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

(٢) **حسن**: د. (٢٦٤٥)، ت: (١٦٠٤)، طب: (٢/ ٣٠٣)، [«ص.ج» (١٤٦١)].

تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

إخوة الإسلام: الولاء والبراء في الإسلام يكون لله، العطاء لله، والمنع لله، والحب لله والبغض لله. انظروا إلى أحوالنا الآن؛ اختلط الحابل بالنابل، وأصبح الولاء بيننا للدنيا الفانية! أصبح الحب للدنيا والمنع للدنيا! هذا يوالي هذا لأنه من حزبه ومن جماعته! وهذا يوالي هذا لأنه يتحصل على المال من ورائه!. . . وهكذا.

انظروا إلى أحوال المسلمين الآن، تجدوا أننا أصبحنا أشداء على أنفسنا، رحماء على الكفار! والواجب العكس: أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا، كما وصف ربُّنَا ـ جَلَّ وعلا ـ نبيَّنا وأصحابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فيا أمة الإسلام! أقول ناصحاً ومحذراً: استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله ﷻ قال محذراً في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

نسأل الله العلي القدير أن يردَّ المسلمين إلى دينه رداً جميلاً
وأن يجعلنا رحماء فيما بيننا، أشداء على أعدائنا؛
إنه وليُّ ذلك والقادر عليه

❀ ❀ ❀

١٢

مِنْ لوازم (لا إِله إِلَّا الله): معرفة أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الولاء والبراء، وقلنا: إن الولاء والبراء من لوازم (لا إله إلا الله)، وقلنا أيضاً: إن الولاء والبراء من أوثق عُرى الإيمان، وإِنه دليل على قوة الإيمان، وتبين لنا أنه يجب على المسلم الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً أن يوالي في الله، ويعادي في الله، ويحبَّ في الله، ويبغض في الله.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع قضيةٍ مهمةٍ من قضايا (لا إله إلا الله)، ألا وهي: قضية (معرفة أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان).

عباد الله: أولياء الرحمٰن هم: المؤمنون الصادقون الأتقياء الذين آمنوا بـ (لا إله إلا الله)، وجاؤوا بشروطها، وعملوا بمقتضاها: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، وهم حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأما أولياء الشيطان فهم: الذين كفروا بـ (لا إله إلا الله) وهم حزب الشيطان، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

إخوة الإسلام: والذي دفعني للحديث عن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان أمران اثنان:

الأمر الأول: علاقة ذلك بالعقيدة، بـ (لا إله إلا الله)، وقد قلنا: إنه

يجب على المسلم أن يوالي في الله، فإذا كان الأمر كذلك وَجَبَ على كل مسلم أن يعرف من يوالي لله، ومن يعادي في الله؛ فالولاء والحب لأولياء الرحمٰن، والعداء والبغض لأولياء الشيطان.

وبالمثال يتضح البيان: فهذا إبراهيم عليه السلام يوالي ويعادي لله ولو كان مع أقرب الناس إليه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]، فلما تبيَّن لإبراهيم أن أباه عدوٌ لله تبرأ منه وقال هو والذين آمنوا معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فتبيَّن أن الولاء والمحبة لأولياء الرحمٰن، والعداء والبغضاء لأولياء الشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

الأمر الثاني: أنه اختلط الحابل بالنابل، وأصبح الكثير من المسلمين لا يفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، فلو أنك سألت إنساناً ما في بلدٍ من بلاد المسلمين عن ولي من أولياء الله فإنه لا يدلك على رجلٍ عالم يتقي الله ويُعَلِّم الناس الخير، إنما يدلك على رجلٍ بنيت على قبره قبةً! يقول لك: هذا ولي من أولياء الله! أو يدلك على رجل مات وشيد على قبره ضريح ضخم والناس يطوفون حوله! أو يدلك على رجل لبس عمامة خضراء وثوباً مرقعاً يطوف بالشوارع، لا يعمل بل هو عالة على الناس! أو يدلك على رجل يضرب نفسه بالسيف أو يأكل المسامير والزجاج! يقول لك: هذا ولي من أولياء الله!! وهذا إن دل فإنما يدل على جهلٍ فادحٍ انتشر بين المسلمين، فعندما يعتقد الناس أن أولياء الرحمٰن هم أصحاب الأضرحة والقباب والعمائم الخضراء، فهذا مؤشر يدل على الشر؛ لأنه علامة على انتشار الجهل البالغ الذي لم يستطع الناس بسببه التفريق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان! ولا حول ولا قوة إلا بالله!!.

إخوة الإسلام: الولاية ولايتان:

١ ـ ولاية للرحمٰن.

٢ ـ ولاية للشيطان.

وهذه الولاية بدأت من اللحظة الأولى التي نزل فيها آدم وإبليس إلى الأرض؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]، من هذه اللحظة بدأت الولاية؛ ولاية للرحمٰن، وولاية للشيطان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠]. الفريق الذي هُدي هم أولياء الرحمٰن، والفريق الذي ضل هم أولياء الشيطان، والله من رحمته بعباده حذَّر بني آدم من الشيطان وفتنته؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

وحذَّر ربُّنا ـ جلَّ وعلا ـ بني آدم من اتخاذ الشيطان ولياً من دون الله؛ لأنهم سيخسرون الدنيا والآخرة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]؛ أي: خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، ومع ذلك ـ يا عباد الله ـ، بعد هذا التحذير لبني آدم ـ أَلَّا يتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ـ إلا أننا رأينا كثيراً من الناس قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فأصبحوا من حزب الشيطان!!.

عباد الله: وحتى يستطيع المؤمن أن يميز بين أولياء الرحمٰن وأولياء

الشيطان، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة، أضع بين أيديكم صفات أولياء الرحمٰن وصفات أولياء الشيطان.

***عباد الله:* ها هم أولياء الرحمٰن، وهذه صفاتهم، بنص القرآن الكريم:**

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، ففي هذه الآيات يتبين للجميع أن لله من خلقه أولياء، يحبهم ويحبونه، يرضى عنهم ويرضون عنه، هم في حاجة إليه، وهو ـ سبحانه ـ غني عنهم، وفي الآية نفسها تجد الصفات التي وصف الله بها أولياءه، فتعالوا لنستمع إلى صفاتهم، ولنرى هل في الآية أن الله وصف أولياءه بأنهم الذين يضربون أنفسهم بالسيف والحديد أو يمشون على الماء أو يلعبون بالنار؟! لا.

الصفة الأولى: الذين آمنوا: الإيمان الصادق، العقيدة الصحيحة؛ فكل من حمل في قلبه عقيدة سليمة فهو من أولياء الرحمٰن، وكل من حمل في قلبه عقيدة فاسدة فهو من أولياء الشيطان كائناً من كانَ، فالذي يدعو غير الله ويستغيث بغير الله فهو من أولياء الشيطان!!.

الصفة الثانية: وكانوا يتقون: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً)، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون؛ أي: أنهم يتقون الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، يخافون من الجليل، ويؤمنون بالتنزيل، ويستعدون ليوم الرحيل، يتقربون إلى الله بالليل والنهار، فإذا نظرت إلى المسجد وجدتهم هناك، وإذا نظرت إلى دروس العلم وجدتهم هناك.. فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، سواء كان مزارعاً، أو تاجراً، أو صانعاً، أو طبيباً، أو أياً كان. فإن آمن بالله واتقى الله فهو من أولياء الله، وفي الآية يبيِّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ ما أعده لأوليائه في الدنيا والآخرة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [يونس: ٦٤]، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢] لِمَ؟ لأن الله يتولى

الدفاع عنهم في الدنيا فلا يخافون إلا من الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ولأن الله ﷻ هو وليهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦] لا خوف عليهم؛ لأن الله يجعل لهم من كل ضيق مخرجاً ومن كل همٍّ فرجاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فلا خوفٌ عليهم في الدنيا ولا يوم القيامة، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، ولا تحزنهم الدنيا إذا خرجوا منها؛ لأنهم ينتقلون إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، ولا يحزنون يوم القيامة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

• والبشرى لأولياء الرحمٰن في الدنيا تكون بالرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو تُرى له.

• والبشرى لأولياء الرحمٰن في الدنيا تكون بالثناء الحسن يُلقى على ألسنة الناس فيثنون على الإنسان خيراً، وبالمحبة تلقى من الله على قلوب الناس فيحبونه لا لنسب ولا لمال إنما يحبونه لله، فهذه بشرى للمؤمن في الدنيا قبل الآخرة.

• ومن البشرى لأولياء الله عندما ينزل بهم الموت أن تتنزل عليهم الملائكة قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

• والبشرى لهم يوم القيامة ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

• والبشرى لهم يوم القيامة على الصراط ـ وما أدراك ما الصراط ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

وأولياء الرحمٰن قسمان: مقتصدون، ومقربون:

المقتصدون: هم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض فقط.

والمقربون السابقون: هم الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الدليل قوله ﷺ: قال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «... **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**»[1].

المؤمنون كلهم أولياء الرحمٰن، وأكرمهم عند الله أتقاهم، وأكثرهم اتباعاً للكتاب والسنّة، والله وليّهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وأنزل الله عليهم كتابه وأرسل إليهم رسوله ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

إخوة الإسلام: أمّا بالنسبة لأولياء الشيطان فهم الذين لا يؤمنون، وهم الذين كفروا بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥]، الشيطان وليهم وهم أولياؤه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أمّا صفاتهم فهي كثيرة نذكر منها:

أولاً: أنهم إذا دعوا إلى (لا إله إلا الله) رفضوا ونفروا واستكبروا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥]، وتعجبوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

ثانياً: أنهم مذبذبون، منهم من يعلن كفره للناس، ومنهم من يبطن

(١) **صحيح:** خ: (٦١٣٧).

كفره ويعلن أمامنا الإسلام، لكن الله ﷻ فضحهم فتراهم إذا جلسوا مع المؤمنين قالوا: إنا معكم، وإذا جلسوا مع الشياطين قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزؤون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

ثالثاً: أنهم إذا دُعوا إلى الكتاب والسنّة للتحاكم بينهم رفضوا ذلك وقالوا: سمعنا وعصينا، كما أخبر ربنا عنهم، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٧، ٤٨].

رابعاً: أنهم يكذبون، ويعصون الله ﷻ بالليل والنهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

والأفَّاك هو: شديد الكذب، والأثيم هو: الذي يعصي الله بالليل والنهار. فالمشعوذين الذين تخدمهم الشياطين، ويذهب إليهم الجهلة من الناس تراهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى الناس، وتراهم يتقربون إلى الشياطين باقتراف المعاصي الكفرية؛ كالبول على القرآن، والسجود للصنم، وغيرها، وذلك لأن الشياطين اشترطوا عليهم قبل أن يخدموهم أن يكفروا بالله ويرتكبوا أبشع المعاصي.

خامساً: أنهم لا يذكرون الله أبداً، وإذا ذكروا الله ذكروه بما يخالف الكتاب والسنّة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

إخوة الإسلام: إذا رأيتم رجلاً يسير في الهواء، ويمشي على الماء، ويدَّعي أنه من أولياء الله، فاعرضوا عمله على الكتاب والسنّة، فإن كان من أصحاب العقيدة السليمة، وإن كان يحافظ على الفرائض ويترك ما

حرم الله فهذه كرامة أكرمه الله بها، وما أظن أبداً أن ولياً من أولياء الله يقول للناس: أنا من أولياء الله، أبداً.

وإذا وجدتم هذا الرجل لا يحمل عقيدة سليمة، ولا يحافظ على الفرائض بل يضيّعها ويُقدم على ما حرم الله فهو من أولياء الشيطان؛ والشياطين تفعل بأوليائها أكثر من ذلك، فإلى الذين يدّعون أنهم من أولياء الله ويضربون أنفسهم بالسيوف والحديد ويأكلون الزجاج والمسامير نقول لهم: هذا يخالف الكتاب والسنّة، لأنكم:

أولاً: عندما تفعلون هذه الأفعال وتستدلون بها على أنكم من أولياء الله نقول لكم: إن عُبَّاد البقر والكفار يفعلون أكثر من ذلك فهل نعتبرهم من أولياء الله؟ إذاً، فليست هذه الأفعال دليلاً على أن هذا الرجل ولي من أولياء الله.

ثانياً: نقول لهم: تضربون أنفسكم بالسيوف والحديد وتأكلون الزجاج والمسامير وتقولون: إن ذلك لا يؤثر فيكم! نقول لهم: أأنتم أفضل من الفاروق ﷺ؟!، فهذا عمر الذي بُشر أنه من أهل الجنة طُعِنَ وهو في المحراب يصلي بالناس إماماً وسال دمه ومات على إثر ذلك، نقول لهم: وأنتم يا أولياء الشياطين لا تتأثرون بضرب السيوف؟! إنما هو الجهل والكذب يفعل بأصحابه أكثر من ذلك.

ثالثاً: نقول لهم: تدَّعون أن هذا من الكرامات فهل قدَّمتم للإسلام بهذا الفعل شيئاً؟! ماذا استفاد الإسلام والمسلمون من هؤلاء الذين طوال يومهم يضربون أنفسهم بالسيوف والحديد ويقولون: نحن من أولياء الله؟! إنهم بهذه الأفعال يقتلون أنفسهم والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩]، والرسول ﷺ يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»[١]، ونقول لهم: إن هذا الفعل

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٣٢٦)، فع: (١٠٩٦)، قط: (٤/٢٢٧)، طب: (١١/٢٢٨)، [«س.ص» (٢٥٠)].

يخالف الكتاب والسنّة، والذي يقوم به من أولياء الشيطان وليس من أولياء الرحمٰن.

ويا إخوة الإسلام: لتميزوا بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان عليكم بالكتاب والسنّة، عليكم بالعلم الشرعي؛ قال ﷺ: «**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[1]. فإذا كنت جاهلاً بالكتاب والسنّة فكيف تميز بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، وأنت لا تميز بين الحلال والحرام؟.

أسأل الله أن يمنَّ علينا وعليكم بالإخلاص في القول والعمل
وأن يجعلنا من أولياء الرحمٰن

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

١٣

من لوازم (لا إله إلَّا الله): الدعاء

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان وقلنا: إن من لوازم (لا إله إلا الله) أن يوالي المسلم أولياء الرحمٰن وأن يعادي أولياء الشيطان.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع قضية مهمة من القضايا التي تتعلق بـ (لا إله إلا الله)، ألا وهي قضية الدعاء.

إخوة الإسلام: والذي دفعني للحديث عن الدعاء أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أنَّ الدعاء له علاقة بالعقيدة؛ أي: له علاقة بـ (لا إله إلا الله)، فمعنى (لا إله إلا الله) «**أي: لا معبود بحق إلا الله**»؛ أي: العبادة كلها لله وحده.

والدعاء من العبادة، كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والرسول ﷺ يقول: «**الدعاء هو العبادة**»[١]، وقال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»[٢]، وقال ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله**

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٧٩)، ت: (٢٩٦٩)، هـ: (٣٨٢٨)، حم: (٤/ ٢٦٧)، حب: (٨٩٠)، خد: (٧١٤)، [«ص.ج» (٥٧١٩)].

(٢) **صحيح**: حب: (٤٤٩٨)، خد: (١٠٤٢)، طس: (٥/ ٣٧١)، هب: (٦/ ٤٢٩)، [«ص.ج» (١٠٤٤)].

ـ **تعالى ـ من الدعاء»**[١]، ويقول ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»[٢]، فالدعاء هو أعظم وأجل العبادات، وذلك ـ يا عباد الله ـ؛ لأن الداعي عندما يرفع يديه ويدعو ربه فهو يعتقد في قلبه أن الله ﷻ هو الغني، وأنه هو الذي يعطي وهو الذي يمنع وهو المالك لكل شيء، وأنه هو رب كل شيء، وهذا هو توحيد الربوبية الذي تكلمنا عنه سابقاً. كذلك فإن الداعي عندما يدعو ربه يعلم أَنه فقير وأَن الله هو الغني وأَنه عبدٌ وأن له إله، وهو بذلك قد استجاب لقول ربه عندما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وعندما قال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فالداعي عندما يدعو ربه يكون قد استجاب له، وقد اتصف بصفة المؤمنين الذين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا: سمعنا وأطعنا، وهذا هو توحيد الألوهية الذي نحن في صدد الحديث عنه. كذلك عندما يرفع الداعي يديه ويدعو الله ﷻ فهو يعتقد في قلبه أن الله ﷻ فوقه؛ أي: في جهة العلو؛ أي: يعتقد أنه سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويعتقد أن الله سميع يسمعه، وبصير يراه، وعليم يعلم من هو وأين هو، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

فالداعي حين يدعو ربه يكون قد جمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فالدعاء دليل على العقيدة السليمة وهذا هو الأمر الأول.

أما الأمر الثاني: أَنَّ كثيراً من الناس في هذا الزمان يدعون غير الله**!** والشاهد أن كثيراً من الناس يصلون لله ويصومون لله ويحجون لله، ولكن إذا دعوا: دعوا غير الله من أنبياء وأولياء وصالحين وملائكة وغير ذلك، يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، وهذا الذي يفعلونه ـ يا عباد الله ـ ضلال وشركٌ وجهل؛ لأن الدعاء عبادة فمن صرفها لغير الله، فهو ظالم جاهل ومشرك كافر.

---

(١) **حسن**: ت: (٣٣٧٠)، هـ: (٣٨٢٩)، حم: (٢/ ٣٦٢)، حب: (٨٧٠)، ك: (١/ ٦٦٦)، خد: (٧١٢)، [«ص.ج» (٥٣٩٢)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/ ٦٦٧)، [«ص.ج» (١١٢٢)].

• وقد بيَّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه أن الذي يدعو غير الله ضالٌّ؛ فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]، ليس أحدٌ أضلَّ من هذا الذي يدعو غير الله.

• وبيَّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ أن الذي يدعو غير الله ظالمٌ؛ أي: مشرك، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: المشركين [يونس: ١٠٦].

• وبيَّن لنا ربنا ـ جَلَّ وعلا ـ أن الذي يدعو غيره يُعَذَّبُ في الدنيا والآخرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

والذي يدعو مع الله أحداً فإنه سيكون بهذا الفعل من المعذَّبين؛ أي: سيعذب في الدنيا والآخرة.

إخوة الإسلام: نقول لهؤلاء الذين يطوفون بقبور الأولياء والصالحين وللذين يدعون غير الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

نقول لهؤلاء الذين يدعون غير الله: إن هؤلاء الذي تدعونهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣]، ونقول لهؤلاء الذين يدعون غير الله: إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون شيئاً ولا يسمعونكم إذ تدعون، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿٤٠﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤٠، ٤١]. نقول لهؤلاء: الذين تدعونهم من دون الله هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون؟ الجواب: لا.

إذن؛ تدعون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، إنَّ هذا واللهِ لهو الضلال المبين!.

• ونقول لهؤلاء: أنسيتم أن الله هو الضار والنافع؟ أنسيتم أن الله هو الشافي وهو المعطي وهو المانع؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

• نقول لهؤلاء: أنسيتم أن الذي يدعو الله وحده يدخل الجنة؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

• نقول لهؤلاء: أنسيتم أن الذي يدعو غير الله يدخل بفعله ذلك النار؛ قال ـ تعالى ـ واصفاً أهل النار: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٦].

إخوة الإسلام: الذي يدعو غير الله ضالٌ ظالمٌ جاهل مشركٌ، فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الدعاء عبادة؛ وأن الذي يستحق العبادة هو الله وحده.

الأمر الثالث: أن الدعاء له علاقة بالحب في الله؛ فالمؤمن الصادق يدعو لأولياء الرحمٰن بظهر الغيب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، يقول ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل،**

كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»[(١)].

المؤمن الصادق يدعو لإخوانه بظهر الغيب، أما المنافق الذي لا يحمل في صدره إلا الغل والحسد، فهذا لا يدعو لأخيه بظهر الغيب؛ بل يحسده ويتمنى أن تزول النعمة عنه.

إخوة الإسلام: الدعاء عبادة من أعظم العبادات فمن صرفها لله فقد نجا وأنجح، ومن صرفها لغير الله فقد خاب وخسر، وذلك هو الخسران المبين، والله ﷻ في كتابه أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

ولقد علّمنا ربنا في كتابه كيف ندعوه؛ إذ سجل لنا في كتابه دعاء الأنبياء وأمرنا أن نتأسّى بهم، وأن نهتدي بهديهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

● فهذا نوح عليه السلام: انظروا كيف دعا ربه، هل قال: يا رب أسألك بجاه فلان؟! أو قال: يا رب أتوسل إليك بفلان! لا، ماذا قال؟ ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦]، قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠]، فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٦﴾ [الأنبياء: ٧٦].

● وهذا أيوب عليه السلام مسّه الضر؛ أي: نزل به المرض، فهل ذهب إلى السحرة والمشعوذين؟ لا يا عباد الله؛ بل رفع يديه ودعا ربه فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٣٣).

• وهذا يونس عليه السلام في سجنه البعيد، في بطن الحوت وبطن البحر، وفي ظلمة الليل دعا ربه أن يفرِّج كربه وأن يكشف غمه فاستجاب الله له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وهذا زكريا عليه السلام يطلب من ربه ذرية طيبة، يطلب من ربه أولاداً، فاعتبروا يا من تذهبون إلى السحرة والمشعوذين من أجل الأولاد، هذا زكريا عليه السلام يعلّمنا كيف ندعو الله عز وجل؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فيا عباد الله: ادعوا الله عز وجل يَسْتَجب لكم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، لا إله إلا الله.

أمة التوحيد: الله عز وجل قريب منا بسمعه، وبصره، وعلمه، بأسمائه وصفاته، وهو مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وتعالى، مَن دعاه استجاب له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

فادعوا الله واطلبوا منه خير الدنيا والآخرة؛ فالله خزائنه ملأى يعطي من شاء ما شاء متى شاء، فادعوا الله وحده ولا تدعوا مع الله إلهاً آخر، فإن فعلتم عُذبتم في الدنيا والآخرة.

إخوة الإسلام: وإليكم الأوقات التي يُستجاب فيها الدعاء؛ فالتمسوها وادعوا الله فيها يُسْتَجب لكم:

الوقت الأول في جوف الليل، في الثلث الأخير من الليل، قم في

هذا الوقت وارفع يديك وادعُ الله ﷻ يُسْتَجب لك؛ سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر**»(١)، وقال ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ ومَن يسألني فأعطيه؟ ومَن يستغفرني فأغفر له؟**»(٢). فقم يا عبد الله في هذا الوقت واطلب؛ تريد أولاداً؟ ارفع يديك واسأل.. تريد مالاً؟ ارفع يديك واسأل.. مريض تريد الشفاء؟ بدلاً من أن تذهب إلى المشعوذين، فالله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

٢ ـ الدعاء مستجاب بين الأذان والإقامة، قال ﷺ: «**الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب؛ فادعوا**»(٣).

٣ ـ كذلك يُستجاب الدعاء في السجود، يقول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء**»(٤).

٤ ـ كذلك يُستجاب لك إذا كنت مظلوماً، إذا ظلمك إنسان فارفع يديك وادعُ؛ فإن الله يستجيب للمظلوم وإن كان فاجراً، قال ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً؛ ففجوره على نفسه**»(٥)، فإياك والظلم، إياك والبهتان.

إخوة الإسلام: ولعل سائل يسأل فيقول: ندعو الله فلا يستجاب لنا فما هي الأَسبابُ؟.

السبب الأول: أنك تتعجل الإجابة؛ تدعو وتتعجل الإجابة تريد أن يُستجاب لك فوراً، تدعو الله أن يشفيك وتريد ذلك في الحال**!!** وهذا ينافي ما نحن عليه معشر المسلمين. قال ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم**

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٣٤٩٩)، عب: (٢/ ٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (١٦٤٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨).

(٣) **صحيح**: ع: (٦/ ٣٥٤)، [«ص.ج» (٣٤٠٥)].

(٤) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٥) **حسن**: حم: (٢/ ٣٦٧)، لس: (٢٣٣٠)، ش: (٦/ ٤٨)، [«ص.ج» (٣٣٨٢)].

يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»[١]. فهذا الاستعجال يمنعه من الدعاء والإلحاح في الدعاء، فلا يستجاب له.

السبب الثاني: الذي يمنع الإجابة هو سبب يكون لحكمة ربانية لا يعلمها إلا الله، يقول ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعَجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»[٢].

السبب الثالث: أكل الحرام، ولبْسُ الحرام، وشُرْب الحرام، فمن يقبل الرشوة، ويلبس ثياباً منها، ويأكل منها كيف يُستجاب له؟ والذي يأكل الربا، ويلبس ثياباً منه، ويأكل منه كيف يُستجاب دعاؤه؟ والذي يغش في تجارته ويلبس ثياباً منها، ويأكل منها كيف يستجاب له؟.

قال ﷺ: «**أيها الناس إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يُطيل السفر، أشعث أغبر، يَمُد يديه إلى السماء: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُهُ حرام، ومشربُهُ حرام، وملبسُهُ حرام، وغُذِي بالحرام، فأنى يُستجابُ لذلك؟**»[٣]، فإياك وأكل الحرام، وإياك وشرب الحرام، حتى لا تُحرم إجابة الدعاء.

اللّهم ردَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٩٨١)، م: (٢٧٣٥).

(٢) **حسن صحيح**: حم: (٣/١٨)، خد: (٧١٠)، هب: (٢/٤٨)، حل: (٦/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (١٦٣٣)].

(٣) **صحيح**: م: (١٠١٥).

١٤

بعض مظاهر الشرك في توحيد الألوهية

[الرياء/ الذبح والنذر لغير الله/ الحلف بغير الله]

عباد الله!

في الجُمَع الماضية تبيّن لنا ـ يا عباد الله ـ أنه يجب على المسلم أن يعبد الله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، وقلنا: إن مَنْ صرف عبادةً من العبادات لغير الله فقد أشرك، كما تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الدعاء عبادة فمن صرفها لغير الله فقد أشرك.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع بعض مظاهر الشرك في توحيد الألوهية ألا وهو الرياء، والذبح والنذر لغير الله، والحلف بغير الله.

هذه ـ يا عباد الله ـ أمراضٌ انتشرت بين المسلمين، ووقع فيها الكثير؛ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أو أنها تقربهم من الله وهم بهذه الأعمال قد ازدادوا من الله بُعداً وقد وقعوا في الشرك.

إخوة الإسلام: الرياء مظهر من مظاهر الشرك في توحيد الألوهية، والرياء جريمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه، والرياء مرض خطير جداً من أمراض القلوب لا يُرى بالعين ولا يُسمع بالأذان ولا يُحَسُّ بالأنامل، ولكنه مرض خفي يخفى حتى على صاحبه، ولذلك قال ﷺ: «**الشرك في أُمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا**»[١].

إخوة الإسلام: الرياء مشتق من الرؤية ومعناه: (أن يعمل الإنسان عملاً

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٣٧٣٠)].

يبتغي به وجه الناس والدنيا)، والرياء شرك خفي؛ خرج ﷺ على أصحابه وهم يتذاكرون المسيح الدجال فقال لهم ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[١]. أي: إذا قام الرجل يصلي، وعلم أن هناك من ينظر إليه تراه يزين صلاته لا يريد بها وجه الله إنما يريد بها الذي ينظر إليه، ويقول الرسول ﷺ: «**أيها الناس، إياكم وشرك السَّرائر**»، قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيُصلي فيزيِّنُ صلاته؛ لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر**»[٢]. وسُمّي بالشرك الخفي؛ لأن صاحبه يُظْهِرُ أن عمله لله ولكنه قد قصد به غير الله.

● الرياء من شيم المنافقين ومن أخلاقهم، فلا يليق بك أيها المسلم أن ترائي، فالله وصف المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

● الرياء من شيم الظلمة وأخلاقهم ومن شيم المتكبرين والجبابرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

● الرياء يبطلُ الأعمال: ولذلك ضرب الله مثلاً للمرائي في كتابه لنعتبر به، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقال ﷺ:

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٠٤)، حم: (٣/ ٣٠)، [«ص.هـ» (٣٣٨٩)].

(٢) **حسن**: خز: (٩٣٧)، ش: (٢/ ٢٢٧)، هب: (٣/ ١٤٤)، هق: (٢/ ٢٩٠)، [«ص.غ.هـ» (٣١)].

«**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[(١)]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، فالمرائي مثله كمثل صخرة ملساء عليها تراب، فلمَّا نزل عليها المطر أخذ التراب فرجعت ملساء على حالها، كذلك المرائي يأتي يوم القيامة فلا يجد ثواباً لعمله.

إخوة الإسلام: إن الله ﷻ يفضح المرائي في الدنيا والآخرة.

- ففي الدنيا فإن المرائي يريد بعمله وجه الناس، ويريد بعمله أن يرى مكانه عند الناس، ويريد بعمله أن يصرف وجوه الناس إليه؛ ولذلك يعامله الله بعكس ما أراد فَيُصَغِّرُهُ، ويُحَقِّرُهُ في أعين الناس، قال ﷺ: «**من يُسَمِّع يُسَمِّع الله به، ومن يُرائِي يُرَائِي الله به**»[(٢)]. أي: مَن أراد مِن الناس أن يسمعوا بعمله، وأن يعرفوا عمله؛ فضح الله سريرته أمام الناس. ولكن من أراد بعمله وجه الله أحبه الله، وإذا أحبه الله حبَّب فيه الناس، وألقى الله محبته في الأرض، ولكن المرائي يريد بعمله وجه الناس والدنيا الفانية فالله ﷻ يفضحه ويعاقبه.

- أما يوم القيامة فالله ﷻ يفضحه على رؤوس الخلائق، قال ﷺ: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياءٍ إلا سَمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[(٣)]؛ أي: إذا قام يُدَرِّسُ في الناس يريد سمعة ورياء، أو قام يُعَلِّم في الناس يريد سمعة ورياء فضحه الله.

ويقول الله ﷻ للمرائين ليُخْزِيَهم يوم العرض عليه: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٨٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٤)، م: (٢٩٨٧).
(٣) **صحيح لغيره**: طب: (١١٩/٢٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٨)].
(٤) **صحيح**: حم: (٤٢٨/٥)، [«س.ص» (٩٥١)].

• الرياء سبب لدخول النار: يقول ﷺ: «**من تعلَّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»(١).

فانتبهوا يا أمة الإسلام! الأمر خطير وإن ادعيت أنك تعمل لله، فالله هو المطلع على السرائر وعلى القلوب، فالإخلاص في القلب لا يراه أحد، لا يطلع عليه ملَك مقرَّب ولا إنسان، إنما الذي يطلع على ما في القلوب هو الله وحده، ومن الناس من يحفظ القرآن ـ مثلاً ـ فيتعلم، ويجتهد؛ يبتغي بذلك وجه الله، ولكن منهم مَنْ يريد أن يصرف وجه الناس إليه يقول لهم: أنا، ليُشَار إليه بالبنان ـ أي ليصرف وجه الناس إليه ـ أدخله الله جهنم.

إخوة الإسلام: بالمرائين تسعَّر جهنم، هذا حديث عندما ذكره أبو هريرة للناس أغمي عليه ثلاث مرات، فإذا أفاق وأراد أن يذكر الحديث أغمي عليه لشدته، يقول أبو هريرة: حدثني رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نزل الله للعباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية تنتظر الحساب والجزاء**»(٢)، يقول أبو هريرة: قال ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأتي به، فعرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريءٌ! فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالمٌ! وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار.

---

(١) **حسن**: هـ: (٢٦٠)، [«ص.هـ» (٢٠٩)].

(٢) **صحيح**: وهو جزء من حديث طويل. انظر: ت: (٢٣٨٢)، خز: (٢٤٨٢)، حب: (٤٠٨)، [«ص.غ.هـ» (١٣٣٥)].

ورجل وَسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد! فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار»(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

فيا أيها المرائي:

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العَرْضِ عُرْيانا ... مُستوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حَيْرانا
النارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومن حنقٍ ... على المرائينَ وربُّ العرش غضبانا
ٱقرأ كتابك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تُنْكرْ قراءتهُ ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفانا
نادى الجليلُ: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المرائون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدارِ الخلد سُكَّانا

***إخوة الإسلام:* ومن مظاهر الشرك في توحيد الألوهية: [الذبح لغير الله].**

الذبح وهو النسك، عبادة يجب أن تصرف لله وحده؛ فالله ﷻ قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

فالصلاة عبادة لله، وكذلك الذبح عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، فمن ذبح لغير الله فقد أشرك وهو ملعون، قال ﷺ: **«لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٠٥).

من غيَّر منار الأرض»(١). أربعة يلعنهم الله؛ منهم من ذبح لغير الله، فالذي يذبح للملائكة ملعون وقد أشرك، والذي يذبح للأولياء والصالحين ملعون وقد أشرك، والذي يذبح للجن على عتبة بابه لخوفه من الجن فهو ملعون، والذي يذبح للميت لتمر الجنازة عليها فقد أشرك وهو ملعون، فالذبح والنسك عبادة لا تُصرف إلا لله.

ومن مظاهر الشرك في الألوهية: (النذر لغير الله):

النذر عبادة والله ﷻ أثنى على الذين يوفون بالنذر. فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]. واعلم يا أخا الإسلام أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم منك إذا نذرت له أو نذرت لغيره.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال ﷺ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**(٢). فمن نذر أن يذبح ذبيحة لله فعليه أن يوفي؛ بل واجب عليه أن يوفي بنذره، ومن نذر أن يذبح لشعيب ـ مثلاً ـ أو لغير الله أو لأحد من الأولياء والصالحين، فلا يوف بنذره وعليه كفارة يمين؛ لقوله ﷺ: **«لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين»**(٣)؛ لأن الذبح عبادة والنذر عبادة فلا تكون إلا لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

***إخوة الإسلام:* من مظاهر الشرك في الألوهية: (الحلف بغير الله).**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٧٨)، حم: (١/ ١٠٨)، حب: (٦٦٠٤)، خد: (١٧)، ع: (١/ ٤٥٠)، [«ص.ج» (٥١١٢)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٣١٨).

(٣) **صحيح**: د: (٣٢٩٠)، ت: (١٥٢٤)، ن: (٣٨٣٤)، هـ: (٢١٢٥)، حم: (٦/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٧٥٤٧)]..

الحلف عبادة لا تكون إلا لله، فإذا حلفت فاحلف بالله، قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١)، وقال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم**»(٢)، فاتقوا الله واحذروا الرياء، واحذروا الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والحلف بغير الله، واعلموا أن الله خلقكم في هذه الدنيا لتعبدوه وحده.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

اللّهم إنا نسألك أن تردَّ المسلمين إلى عقيدتهم السليمة ردًّا جميلاً

* * *

---

(١) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب: (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، لس: (١٨٩٦)، [«ص.ج» (٦٢٠٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٦٢٤)، م: (١٦٤٦).

١٥

أهمية توحيد الألوهية وأثره على الفرد والمجتمع

عباد الله!

إخوة الإسلام: في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الألوهية، وعن مظاهر الشرك فيه، وتبيّن لنا أن هذا التوحيد هو أهم أنواع التوحيد.

● فمن أجل هذا التوحيد ـ وهو عبادة الله وحده ـ خلق الله الخلق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

● ومن أجل هذا التوحيد أرسل الله ﷻ الرسل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وما من أمة إلا خلا فيها نذير، وهذا النذير يقول لقومه: يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

● من أجل هذا التوحيد أنزل الله الكتب، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود: ١، ٢].

● من أجل هذا التوحيد تبرّأ المؤمن من الكافر، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

● من أجل هذا التوحيد قامت الحروب بين المؤمنين والكافرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال ﷺ: «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى**»[١].

● من أجل هذا التوحيد يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١].

● من أجل هذا التوحيد تنصب الموازين يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهناك بعد الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

● من أجل هذا التوحيد خلق الله الجنة والنار، خلق الجنة للذين عبدوه وحده، وخلق النار للذين كفروا به.

إخوة الإسلام: توحيد الألوهية: هو توحيد العبادة، وهو أن يُعْبَد الله وحده في الأرض، هذا التوحيد هو حق الله على العباد، وإذا أدينا حق الله علينا فماذا سيكون لنا؟:

أولاً: أحيانا الله ﷻ في هذه الدنيا حياة طيبةً، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠)، خ: (٢٧٨٦).

أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

ثانياً: نصرنا الله على أعدائنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولقد نصر الله ﷻ المؤمنين الصادقين في الصدر الأول من الإسلام فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولكن الله ﷻ اشترط على المؤمنين شرطاً فإن جاؤوا به نصرهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

ثالثاً: مكّننا الله في الأرض وجعل السيادة لنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

رابعاً: أعزّنا الله في الدنيا والآخرة.

فالله ﷻ جعل العزة للمؤمنين فقط، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، والله ﷻ أنكر على المنافقين عندما ابتغوا العزة عند الكافرين فقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

خامساً: دافع الله عنّا وكفانا شر الأعداء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

سادساً: جعلنا الله أمة واحدة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فإذا عبدنا الله وحده جعلنا الله أمة واحدة فبالتوحيد والعقيدة الصحيحة تجتمع القلوب؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فأصبحتم بهذا الدين؛ أي: بعقيدة التوحيد إخواناً. وبالعقيدة الفاسدة والشرك نصبح فرقاً وأحزاباً؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

إذا حقّقنا هذا التوحيد قلَّت المعاصي، وإذا قلَّت المعاصي نزلت علينا الرحمات من رب الأرض والسمٰوات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لقلة المعاصي، وإذا ضيعنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زادت المعاصي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، إذاً سعادتنا في الدنيا والآخرة أن نؤدّي حق الله علينا، وحق الله علينا أن نعبده وحده وهذا هو توحيد الألوهية.

وإذا حققنا هذا التوحيد أعزَّنا الله في الدنيا والآخرة، وإذا ضيَّعنا هذا التوحيد وتركنا حق الله وأقبلنا على الدنيا الفانية، فماذا ستكون النتيجة؟:

أولاً: أذلنا الله ذلًّا لا يرفعه عنّا حتى نرجع إلى ديننا؛ يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٣١٦/٥)، حل: (٢٠٩/٥)، [«س.ص» (١١)].

أمة الإسلام: انظروا هل أكلنا الربا؟! نعم، إلا من رحم ربي، هل أخذنا أذناب البقر ورضينا بالزرع؟ هل أحببنا الدنيا أكثر من الآخرة؟ نعم إلا من رحم ربي، هل تركنا الجهاد في سبيل الله؟ نعم، فسلط الله علينا ذلًّا لا ينزعه عنا حتى نرجع إلى عبادة ربنا، حتى نرجع إلى التوحيد، إذا فعلنا ذلك وعُدنا إلى ديننا رفع الله عنا الذل، وإذا بقينا على ما نحن فيه ـ من المعاصي وحب الدنيا ـ فها هو الذل يُصَبُّ على رؤوسنا صَبًّا.

ثانياً: إذا تركنا هذا التوحيد والعمل به وانشغلنا بالدنيا الفانية وجمعها تداعت علينا الأمم، قال ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكَلة إلى قصعتها**»، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذٍ؟ قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»(١).

إخوة الإسلام: افهموا وعوا هذا الحديث، هل ينطبق علينا الآن؟ الأمم الكافرة ينادي بعضها على بعض: هلموا، فقد تخلى المسلمون عن دينهم، اقتلوهم دمروهم، دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ثم هاهم يسرحون ويمرحون ويقتلون وينتهكون الأعراض ولا يخافون من الأمة الإسلامية أليس هذا هو الواقع الآن؟ وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

إخوة الإسلام: وها أنتم تقرؤون وتسمعون ما يجري الآن في بلاد المسلمين في البوسنة ـ مثلاً ـ مِنْ قتلٍ جِماعيٍّ، وتشريد للمستضعفين من المسلمين؟ قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠]، فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً، ما الذي أصابنا يا عباد الله، ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟! ألسنا على الحق وهم

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٢٧٨)، د: (٤٢٩٧)، لس: (٩٩٢)، حل: (١/١٨٢)، [«ص. ج» (٨١٨٣)].

على الباطل؟! ألسنا نقاتل في سبيل الله وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت؟! اللهُ ولينا والكفار لا مولى لهم، أنسيتم أنكم ستقفون أمام الله يوم القيامة في أرض المحشر والله سائلكم حكاماً ومحكومين عن الأطفال والأعراض التي تُنتهك في بلاد المسلمين.

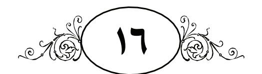
أمة الإسلام: ماذا تقولون لربكم يوم القيامة واللهُ ـ جلَّ وعلا ـ سيسأَل عن المـوْؤدة: لِمَ وئِدت؟ وإنا ـ يا عبادَ الله ـ لمسؤولون عن أطفال المسلمين الذين يحوِّلونهم إلى النصرانية، ونحن نطبل ونغني ونرقص وكأن شيئاً لم يكن.

أنسيتم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً؟! أنسيتم يا عباد الله أن قول الرسول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١].

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم
أن يردَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).



توحيد الأَسماء والصفات

عباد الله!

في بداية الحديث عن العقيدة قلنا: إن العقيدة السليمة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبدأنا في الحديث عن الأصل الأول منها ألا وهو الإيمان بالله، وقلنا: إن معناه: أنه يجب على المسلم أن يوحّد الله ﷻ في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

- وتكلمنا عن النوع الأول من التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وتكلمنا عن مظاهر الشرك فيه.
- وتكلمنا عن النوع الثاني، ألا وهو توحيد الألوهية،وتكلمنا عن مظاهر الشرك فيه.
- وموعدنا في هذا اليوم مع النوع الثالث من أنواع التوحيد، ألا وهو **توحيد الأسماء والصفات.**

توحيد الأسماء والصفات: معناه الاعتقاد الجازم أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال ومنزّه عن جميع صفات النقص.

ومعناه أيضاً: الاعتقاد الجازم في القلب، بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

إخوة الإسلام: وتوحيد الأسماء والصفات هو التوحيد الذي دارت فيه المعارك بين أهل الحق وأهل الباطل، وهو التوحيد الذي ضلَّت فيه كثير من الفرق الإسلامية ـ إلا من رحم ربي ـ وذلك لأنهم تدخلوا في تفسير

الأسماء والصفات بعقولهم وآرائهم وأهوائهم فضلُّوا وأضلُّوا، ولو أنهم فعلوا كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في الأسماء والصفات لنجوا من هذا الضلال، فالصحابة رضوان الله عليهم الذين يفهمون اللغة العربية قرؤوا القرآن وسمعوه من رسول الله ﷺ وفهموا ذلك، ما سألوا رسول الله ﷺ عن الأسماء والصفات؛ لأنهم فهموا أن الأسماء والصفات لله ﷻ تليق بجلال الله، وأن الأسماء والصفات للإنسان وللمخلوقات تليق بالمخلوقات؛ لأن الله ﷻ ليس كمثله شيء، فقرأوا إن الله سميع بصير، وقرؤوا إن الإنسان سميع بصير، ومع ذلك علموا أن سمع الله يليق بجلال الله وسمع وبصر الإنسان يليق بالإنسان، لم يلتبس عليهم ذلك أبداً؛ لأنهم أثبتوا الصفة ومرَّروها كما فهموها، ولم يتكلفوا تشبيهاً ولا تعطيلاً ولا تكييفاً؛ لأنهم أيقنوا أن الله ﷻ ليس كمثله شيء.

إخوة الإسلام: أما الفِرق الضالة فقد أدخلوا أهوائهم وآرائهم فضلّوا وأضلّوا.

● فتلك فرقة ضالة قرؤوا إن الله ﷻ له يد وله سمع فقالوا: لا، ليس لله يد، وليس لله سمع! فكذَّبوا الله ﷻ وكذَّبوا رسوله ﷺ؛ عطَّلوا الصفات والأسماء، وهؤلاء هم المعطلة الذين ضلّوا وأضلّوا.

● وفريق آخر قال: إن الله يسمع ولكن كما نسمع، ويبصر ولكن كما نبصر! فهؤلاء كذبوا على الله ورسوله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وهؤلاء هم المشبّهة، شبَّهوا صفات الله بصفات المخلوقين فضلّوا وأضلّوا.

● وفرقة أخرى حرَّفوا الكلام عن مواضعه، فالله ﷻ يقول في كتابه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فقالوا: يد الله: قدرة الله، وقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] فقالوا: الرحمٰن على العرش استولى، فحرفوا الكلام عن مواضعه فضلّوا وأضلّوا.

إخوة الإسلام: ومن أراد أن ينجو من الضلال ومن دعاة الضلال في هذا التوحيد فعليه أن يقيم توحيده في الأسماء والصفات على الأصول الثلاثة التالية:

الأصل الأول: أن نثبت لله ﷻ ما أَثبته لنفسه من الأسماء والصفات؛ وما أثبته له رسوله ﷺ في سنّته من غير زيادة ولا نقصان؛ لأن الزيادة كذب على الله وعلى رسوله، والنقص في الأسماء والصفات تكذيب لله ورسوله، والله ﷻ توعّد الذين يكذبون عليه بالنار، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: ٣٢]. والرسول ﷺ توعد الذين يكذبون عليه بالنار، فقال ﷺ: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

إخوة الإسلام: وهذا الإثبات للأسماء والصفات يكون بالكتاب والسنّة فقط لا بالأهواء ولا بالآراء؛ لأن الله ﷻ أعلم بنفسه، والرسول ﷺ أعلم بربه ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ولذلك يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يُوْصفُ اللهُ ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ، لا يُتَجَاوزُ القرآنُ والحديثُ)، فيجب على المسلم أن يثبت لله ﷻ أسماءَه وصفاته كما جاءت في القرآن والسنّة بدون زيادة ولا نقصان.

الأصل الثاني: أن تنزّه الله في أسمائه وصفاته عن مشابهة المخلوقين؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا مثيل ولا شبيه لله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾: (إن الله جلَّ اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وَعَلِيِّ صفاته لا يُشبه شيئاً من مخلوقاته، وما أَطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي).

---

(١) **صحيح**: م: (٣)، خ: (٥٨٤٤).

وقال الواسطي: في تفسير هذه الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾: (أي: ليس كذاته ذاتٌ، ولا كاسمه اسمٌ، ولا كصفته صفة، ولا كفعله فعل إلا من جهة موافقة اللفظ).

وقال شيخ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ تشبيه ولا تمثيل).

الأصل الثالث: أن تقطع الطمع في أن تفكر في كيفية الصفة، لمَ؟ لأن الله أخبرنا أنه ليس كمثله شيء، ونهانا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ أن نفكر في ذاته، ولذلك لما سئل الإمام مالك عن كيفية الاستواء عندما قال له السائل المبتدع: الرحمٰن على العرش استوى، كيف استوى؟ فغضب الإمام مالك غضباً شديداً على السائل ثم قال له: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، فلا يجوز لك أن تسأل: كيف استوى الرحمٰن على عرشه؟! ولا يجوز لك أن تسأل: كيف ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ ولا يجوز لك أن تسأل: كيف يسمع ربنا؟ لمَ؟ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فالواجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، يثبت الصفة ولا يتكلم في كيفيتها؛ بل عليه أن يقول كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مُراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مُراد رسول الله ﷺ).

إخوة الإسلام: توحيد الأسماء والصفات توحيد مهم جداً ينفعك في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فالمسلم الفاهم لدينه، المتفقه فيه، الذي يحمل عقيدة صحيحة في قلبه بأسماء الله وصفاته يتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه وصفاته؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فيجوز للمسلم أن يقول: يا لطيف الطف بنا، أو يقول: اللّهم إني

أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر لي، أن ترزقني، أن ترحمني؛ فهذا مشروع.

أما بعض الجهلة والذي يجلس أحدهم فيقول: يا لطيف يا لطيف آلاف المرات، والله يقول له: لبيك عبدي ماذا تريد؟ وهو يقول: يا لطيف، والله يقول: لبيك عبدي ماذا تريد؟ فهذا **أولاً**: لم يتأدب مع الله ﷻ؛ لأنه لا يجوز أن تنادي على إنسان أكثر من مرة، فهذا استهزاء وسخرية بالذي تنادي عليه، فكيف يكون ذلك مع الله ﷻ؟!.

ثانياً: إن الله ما أمرنا بذلك؛ بل قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلم يقل ـ سبحانه ـ: فكرروها، ولكن قال: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾، فهذا الذي يكرر الأسماء مرات قد ابتدع في دين الله ولم يزدد بذلك إلا بُعداً من الله ﷻ، فاتقوا الله وادعوا الله بأسمائه، ورسولنا ﷺ علمنا كيف ندعو الله ﷻ فقال ﷺ: «**ما أصاب مسلم قط هم ولا حزن فقال: اللّهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمتهُ أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همّي إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكانه فرحاً**»، فقال الصحابة: يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ فقال ﷺ: «**بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[1]. فانظروا إلى هذا الدعاء عقيدة تشعرك أنك عبدٌ لله، وأن لك إلهاً قوياً تدعوه، فتعلموا كيف تسألوا الله ﷻ، فالله ﷻ يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وإياك أن تتكبر عن دعاء الله ﷻ، فقد توعّد الله الذين يستكبرون عن عبادته بجهنم. فإذا أصابك هَمّ وغمّ فاحذر أن تشعل سيجارتك ـ

(١) **صحيح**: حم: (١/ ٣٩١)، ك: (١/ ٦٩٠)، طب: (١٠/ ١٦٩)، [«ص.غ.هـ» (١٨٢٢)].

يا عبد الله ـ فهذا من فعل الشياطين، نرى مسلماً يصلي ويعرف ربه ولكنه إذا غضب أشعل سيجارته، وقد زين له الشيطان ووسوس له أنه إذا أشعل سيجارته ذهب عنه همه وغمه! لا ـ يا أخا الإسلام ـ إن أصابك الهمّ والحزن فعليك أن تدعو الله بهذا الدعاء؛ فاحفظه واعمل به فهو عقيدة وتوحيد تحشر به يوم القيامة مع الموحدين في جنات النعيم.

إخوة الإسلام: ويقول ﷺ: «**إن لله ﷻ تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[١]، وهذا لا يدل على حصر الأسماء، ولكن هذه الأسماء التسعة والتسعون من أحصاها دخل الجنة، وإحصاؤها أن تفهمها، وأن تحفظها، وأن تعمل بها لا أن تكررها وترددها كما يفعل الجهلة؛ لا بل أن تؤمن بها فإذا علمت وحفظت أن الله سميع، ثم جلست في مجلس غيبة أو أردت أن تتكلم أو تسمع للغيبة فتتذكر أن الله يسمعك، فهذا الاعتقاد أن الله سميع يمنعك من الوقوع في المعصية في الغيبة والنميمة. وكذلك إذا اعتقدت أن الله بصيرٌ يراك أينما كنت فهذا يمنعك أن تُقبل على معصية الله، فهذا الاعتقاد بالأسماء والصفات يمنعك من المعاصي ويدفعك إلى الطاعة والتوبة.

ولذلك كان توحيد الأسماء والصفات ذخرٌ لصاحبه في الدنيا والآخرة. فمن اعتقد بأسماء الله وصفاته في قلبه بعقيدةٍ راسخة لا يمكن أبداً أَنْ يعتقد بأن الله يراه ثم يذهب إلى معصية الله، وأذكركم بتلك الفتاة التي قالت لها أمها: (اخلطي اللبن بالماء، فقالت: يا أماه أما تخافين عمر؟ فقالت الأم: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة: يا أماه إذا كان عمر لا يرانا فربّ عمر يرانا)!! فالذي منعها أن تخلط اللبن بالماء هو اعتقادها أن الله يراها، فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا هذه الأسماء واعملوا بها، وموتوا عليها لتحشروا يوم القيامة مع الموحّدين.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥٨٥)، م: (٢٦٧٧).

١٧

آية الكرسي وأنواع التوحيد الثلاثة (١)

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن توحيد الأسماء والصفات وقلنا: إنه يجب على المسلم أن يوحِّد الله ﷻ في أسمائه وصفاته، وذلك يكون بأن يثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تكييف.

إخوة الإسلام: وموعدنا في هذا اليوم مع آية عظيمة من كتاب ربنا تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة ألا وهي آية الكرسي.

قال - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إخوة الإسلام: آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، فعن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، قال: فضربَ ﷺ في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»(١). وفي هذا دليل على أن آية الكرسي هي أعظم آية.

• آية الكرسي مَنْ قرأها عند نومه كان عليه من الله حافظ حتى

(١) **صحيح**: م: (٨١٠).

يصبح، ولا يقربه شيطان، ولذلك عندما أمسك أبو هريرة بالشيطان الذي كان يسرق من الزكاة، فأخذه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، ـ فعل ذلك ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة قال الشيطان لأبي هريرة ـ: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ . . .﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنّك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**»، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي. . . . . . وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. . . . . . فقال ﷺ: «**أما إنه صدقك وهو كذوب...**»[(١)].

فيتبيّن من ذلك أن من قرأ هذه الآية عند نومه كان في حفظ الله وفي حماية الله ولا يقربه شيطان، أما من نسيها وأهملها ولم يقرأها عند نومه فلا يلومن إلا نفسه، فهو قد عرض نفسه لمس الشيطان، فالشيطان لك بالمرصاد، فإذا نمت فنم على طهارة، واقرأ أذكار النوم، واقرأ هذه الآية لكي تكون في حفظ الله من كيد الشياطين.

كم من المسلمين مسّه الشيطان وصرعه بإهمال منه، ثم بعد ذلك يذهب إلى السحرة والمشعوذين، وأظن أن من نام على شاشات المفسديون لا يخطر على باله أن يقرأ آية الكرسي.

• آية الكرسي اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة فمثلاً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا توحيد الألوهية، ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

نَوۡمٞۚ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات، ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ هذا توحيد الربوبية.

إخوة الإسلام: آية الكرسي، آية واحدة ولكنها اشتملت على عشر مسائل من أعظم وأهم مسائل العقيدة.

١ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢ ـ ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.

٣ ـ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾.

٤ ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

٥ ـ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

٦ ـ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾.

٧ ـ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾.

٨ ـ ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾.

٩ ـ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾.

١٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

مسائل في العقيدة يجب على المسلم أن يفهمها.

نعيش في يومنا هذا مع هذه الآية ـ إن شاء الله تعالى ـ وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية، سائلين الله تعالى أن ينفعنا بما في هذه الآية، وأن يجعلنا من أهلها ومن العاملين بها.

المسألة الأولى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، توحيد الألوهية؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، والله ﷻ يُذكِّرنا ذلك كثيراً في كتابه: بأنه هو الإله الحق.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم بعد ذلك يشهد ربنا ـ جلَّ وعلا ـ

لنفسه أنه هو الإله الحق؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

فالله يشهد أنه هو الإله الحق، فيجب عليك ـ يا عبد الله ـ إذا تبين لك ذلك واعتقدت ذلك في قلبك أن تكون عبداً لله بحق، وأن تتجه إلى الله بكل العبادات، فتركع لله وحده وتسجد لله وحده، وتخاف من الله وحده، وتذكر أن من صرف شيئاً من عبادته لغير الله فقد أشرك وضل ضلالاً مبيناً.

المسألة الثانية: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ وهذا توحيد الأسماء والصفات، فقد سمى الله ﷻ نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فعلى المسلم أن يثبت هذه الأسماء والصفات لله ﷻ على حقيقتها من غير تعطيل ولا تشبيه؛ فصفات الله تليق بجلال الله وصفات المخلوقين تليق بالمخلوقين فلا تشابه أبداً بين صفات الله وصفات المخلوقين، فالله ﷻ سمّى نفسه الحي فهو حي حياة أبدية، حياة أزلية، حي لا يموت، قيوم لا ينام سبحانه وتعالى، نثبت لربنا ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته.

المسألة الثالثة: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾، وهذا من توحيد الأسماء والصفات؛ فالله ﷻ نفى عن نفسه النعاس والنوم؛ لأنهما من صفات النقص؛ ويجب على المسلم أن ينزه الله ﷻ عن كل صفات النقص ويعتقد أن الله ﷻ لا ينام، والرسول ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»(١).

المسألة الرابعة: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾، المالك هو الله، له ما في السمٰوات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى، وهذا هو توحيد الربوبية؛ الاعتقاد الجازم في القلب أن الملك لله في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فالملك لله، والأرض كلها لله، قال

---

(١) **صحيح**: م: (١٧٩).

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. والمال الذي بين أيدينا لله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]. واعلم ـ يا عبد الله ـ أن الملك لله وأنك ضيف في هذه الدنيا، فمهما وصلت فأنت خارج من الدنيا كما جئت إليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، فأنت خارج من الدنيا لا تأخذ شيئاً كما جئت إلى الدنيا لا تملك شيئاً، وانظر إلى مَنْ كانوا قبلك هل أخذوا شيئاً؟!.

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كلِّ أَوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من وِرْدِهِ يوماً كما وردوا

فالملك لله، وإذا عرفت ذلك؛ فلا ترفع يديك إلا للمالك، الذي خزائنه ملأى لا تنفد أبداً، أفتترك الذي له ملك السمٰوات والأرض وتدعو الأموات؟!! أين عقول الذين يتمسحون بالقبور ويطلبون منهم، ويتركون الذي له ملك السمٰوات والأرض؟!! اطلبوا من الله فهو الغني.

المسألة الخامسة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾، وهذا استفهام للنفي؛ أي: لا أَحدَ يشفع يوم القيامة إلا بإذنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

الشفاعة تطلب من الله، فمن طلب الشفاعة من الأنبياء أو من الملائكة أو الأولياء أو الصالحين فقد ضل ضلالاً مبيناً، الأنبياء الملائكة الأولياء العلماء كلهم يشفعون يوم القيامة، ولكن بإذن من الله ويشفعون فِيمَنْ رضي الله عنهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]. ورسولنا ﷺ يوم القيامة يخر ساجداً تحت العرش ويثني على الله، فيقول الله ﷻ له: «**يا محمد، ارفع رأسك سل تُعْطَهْ واشفع تُشَفَّعْ**»[١]، فالله هو الذي يأذن بالشفاعة، ولذلك لا ينبغي لمسلم أبداً أن يطلب الشفاعة إلا من الله، ومن طلب الشفاعة من غير الله ـ أيًّا كان ـ فقد ضل ضلالاً مبيناً.

المسألة السادسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾، فالله ﷻ يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض. يعلم من أنت، يعلم أين أنت، ويعلم ما تفعل، وهذا إذا اعتقده الإنسان في قلبه فإنه سيرتعد خوفاً من الله. فالله مطلع عليك.

فإذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما يخفى، عليه يغيب

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

فإذا اعتقد الإنسان ذلك وعلم أن الله مطلع عليه، ويعلم ماذا يفعل ترك المعاصي، وأقبل على الله، وأقبل على الطاعات؛ لأنه علم أن الله يعلم كل ما يصنع، وترك المعاصي؛ لأنه يعتقد أن الله يعلم ما يصنع، فتراه دائماً مقبلاً على الطاعات مبتعداً عن المعاصي، وهذا هو الإحسان، كما قال ﷺ عنه: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه**

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث طويل. انظر: خ: (٤٤٣٥)، م: (١٩٤).

فإنه يراك»[١].

المسألة السابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، فالله سبحانه وحده هو الذي يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، والله اختص نفسه بعلم الغيب فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فالملائكة لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم الله، والجن لا يعلمون الغيب، كذلك الأنبياء والأولياء والصالحين لا يعلمون الغيب، والكهنة والمشعوذين لا يعلمون الغيب، وهذه عقيدة فإذا اعتقدت أنه لا يعلم الغيب إلا الله دفعك ذلك إلى أن تعلم:

الأمر الأول: أنه لا يجوز لأحد أياً كان أن يجزم بنزول المطر في الغد ولا بهبوب الرياح مهما كان عنده من علم إلا أن يقول: إن شاء الله تعالى؛ لأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

الأمر الثاني: إذا اعتقدت أنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ فلا يجوز لك يا مسلم يا من تحمل في صدرك هذه العقيدة الصحيحة أن تعتقد ما يكتب في (الجرائد) من (حظك اليوم). وتتعجب من مسلم يصلي، ويركع ويسجد لله، ويعلم أن الضار والنافع هو الله، ومع ذلك يعتقد في (حظك اليوم)، فإذا رأى خيراً استبشر، وإذا رأى شرًّا تشاءم، وتراه طوال يومه منكسَ الرأس، وهذه عقيدة فاسدة، وهذا عمل باطل، ولا يجوز في بلاد المسلمين أن ينشر ذلك في الجرائد.

الأمر الثالث: كثيرٌ من الناس إذا سُئِلَ عن شيء في الدين قال: الله ورسوله أعلم، وهذا خطأ؛ لأنَّ صحابة رسول الله ﷺ كانوا إذا سئلوا عن

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث. انظر: خ: (٥٠).

شيء قالوا: الله ورسوله أعلم، وذلك لأن الوحي كان ما يزال ينزل عليه ﷺ من السماء، ولكن بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى ربه فلا يجوز لمسلم أبداً أن يقول: الله ورسوله أعلم، ولكن ليقل: الله وحده أعلم.

الأمر الرابع: إذا علمت أن الغيب لله، وأنه لا يُطلع على الغيب أحدٌ إلا الله؛ فتعلم أن الذهاب إلى الكهنة والمشعوذين حرام وضلال، فتذكر أن من ذهب إليهم ولم يصدقهم بما قالوا لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، ومن صدقهم بما قالوا، فقد كفر بما أنزل على محمد. فكم ممن يصَّلون يذهبون إليهم فيدَّعون علم الغيب، فيصدقونهم؟.

لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن الكاهن ـ أحياناً ـ يُخبر مَنْ يأتيه ببعض المعلومات عنه، فمن أَين عَلِمَ الكاهن هذه المعلومات؟ إن الكاهن لما كفر بالله خدمته الشياطين لقاء كفره، فيخبر قرين الشخص الذاهب إليه قرين الكاهن ببعض المعلومات عن ذلك الشخص، فيقوم قرين الكاهن بإلقاء تلك المعلومات في أذن الكاهن فيخبر الكاهن بها من ذهب إليه، فيظن الجاهل بجهله، أن الكاهن يعلم الغيب.

أفيذهب مؤمن يعلم أن الغيب لله إلى السحرة والكهنة!! هذا ضلال مبين!! فاحذر ـ يا عبد الله ـ أن تذهب إليهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، والموت يأتي بغتة فتخرج من الدنيا على غير (لا إله إلا الله)، فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، ومع باقي الآية نعيش في الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى.

اللّهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً

❋ ❋ ❋

١٨

آية الكرسي وأنواع التوحيد الثلاثة (٢)

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا في الحديث عن آية الكرسي وقلنا: إنها أعظم آية في كتاب الله، وقلنا: إن من قرأها قبل نومه لا يقربه شيطان حتى يصبح ولا يزال عليه من الله حافظ، وقلنا: إن آية الكرسي تحتوي على أنواع التوحيد الثلاثة، وتحتوي على عشر مسائل من أهم وأعظم مسائل العقيدة، وقد تكلمنا عن المسائل السبع الأولى منها، وها نحن في هذا اليوم نتكلم عن باقي المسائل، سائلين المولى في عُلاه السداد والتوفيق.

المسألة الثامنة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أي: أحاط كرسيه بالسمٰوات والأرض.

عباد الله: العرش والكرسي حق، ولقد جاءت الآيات والأحاديث تخبر بذلك، والكرسي بالنسبة للعرش ـ كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ـ كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض، والعرش والكرسي من مخلوقات الله العظيمة.

المسألة التاسعة: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: لا يعجزه حفظ السمٰوات والأرض؛ وذلك أن الله على كل شيء قدير، وأن الله ﷻ وحده هو الذي يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا، وهو سبحانه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

المسألة العاشرة والأخيرة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، هو سبحانه وتعالى العالي على خلقه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وقال

ـ تعالى ـ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والعرش فوق السموات، ومسألة العلو قضية مهمة من قضايا العقيدة، لكن ضل فيها كثير من المسلمين إلا من رحم ربي.

- فمنهم من يعتقد أن الله موجود بذاته في كل الوجود، وهذه عقيدة الجهمية، وهي فرقة ضالة من فرق الضلال التي أخبر عنها النبيُّ ﷺ.

- ومنهم من يقول: لا أدري!! الله ﷻ في السماء أم في الأرض.

والاعتقاد الصحيح في مسألة العلو: أن الله ﷻ استوى على عرشه فوق سماواته استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، وهو معنا في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

إذا سألنا رجلاً في هذا الزمن العجيب وقلنا له: أين الله؟ فتراه إما أَنْ يقول: لا أدري! أهو في السماء أم في الأرض، وإما أن يقول: هو في كل مكان، كما نسمع الجهلة من المسلمين وهم يقولون: (يا موجود في كل الوجود)، فهذه عقيدة فاسدة.

فاسأل من شئت ـ إلا من رحم ربي ـ: أين الله؟ ـ وربما يكون من تسأَله ممن يحمل شهادة الدكتوراه ـ فستجده لا يعرف أين الله، أهو في السماء أم في الأرض؟ فإما أَن يقول: لا أدري، وإما أن يقول: في كل مكان.

وهذا الإمام أبو حنيفة سئل عن رجل لا يعلم ربه أهو في السماء أم في الأرض، فقال الإمام: يكفر بذلك؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فالعرش معلوم أنه فوق السموات؛ إذاً الرحمٰن على العرش استوى، استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله.

إخوة الإسلام: وهذا رسولنا ﷺ يبيّن لنا ذلك بياناً شافياً.

جاء إليه رجل معه جارية لطمها على وجهها وأراد أن يعتقها لوجه الله

تكفيراً لذنبه، فلما أخبر الرسول ﷺ بذلك قال له رسول الله ﷺ: «**ائتني بها**»، فجاء الرجل بالجارية فامتحنها رسول الله ﷺ فقال للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، فقال لها: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال ﷺ لسيدها: «**أَعتقها فإنها مؤمنة**»[١]. لأنها تعتقد أن الله في السماء؛ أي: فوق السماء على عرشه، وتعتقد أن رسول الله هو رسول حق من عند الله. فمن هذا الحديث يتبين لنا أننا إذا سألنا أحد: أين الله؟ فإن هذا سؤال مشروع؛ لأن الرسول ﷺ سأل الجارية فقال لها: «**أين الله؟**» وإذا سُئِلنا: أين الله؟ فقلنا: في السماء فهذه إجابة مشروعة واعتقاد صحيح؛ لأن الجارية قالت: هو في السماء؛ فأقرّها الرسول على ذلك وشهد لها بالإيمان، وكذلك نأخذ من هذا الحديث أَن من اعتقد أن الله في السماء على عرشه استوى فهو من المؤمنين.

إخوة الإسلام: العقيدة الصحيحة في مسألة العلو: أن الله على عرشه استوى استواءً يليق بجلاله، ليس كمثله شيء، غني عن العرش وما دون العرش، وهو معنا في كل مكان بسمعه وعلمه وبصره.

إخوة الإسلام: لقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنّة تشهد بأن الله استوى على عرشه، ففي كتاب الله يخبرنا ربنا في سبع مواضع من كتابه أنَّ الرحمٰن على العرش استوى، والعرش فوق السموات؛ أي: عليك أن تعتقد أن الله ﷻ استوى على عرشه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ

---

(١) **صحيح**: م: (٥٣٧).

تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦]، في السماء؛ أي: على السماء؛ فـ«في» تأتي بلغة العرب بمعنى الظرفية، وبمعنى على، فهنا «في السماء» بمعنى «على السماء»، كما جاء في الآيات القرآنية الكثيرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [تبارك: ١٥]؛ أي: أن الله يأمر عباده أن يمشوا على الأرض ولا يعقل أبداً أن الله يأمر عباده أن يحفروا لأنفسهم أخاديد في الأرض ليمشوا فيها. وقال تعالى عن فرعون أنه قال للسحرة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ففي هنا بمعنى (على).

إخوة الإسلام: وقد جاءت الأدلة من السنّة تشهد أن الله في السماء؛ أي: على عرشه استوى، يقول ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»(١). والشاهد: «**فهو عنده فوق العرش**»، وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالىٰ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢)، الشاهد: «**يرحمكم من في السماء**». وقال ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمينُ مَنْ في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**»(٣)، وقال ﷺ: (للجارية: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء)(٤)، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها**»(٥). الشاهد: «**كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها**».

والفطرة السليمة تشهد بأن الله على عرشه استوى، فالصغير منا والكبير والذكر والأنثى الكل تراه إذا دعا الله ﷻ رفع يديه إلى السماء اعتقاداً أن الله على العرش استوى، وكل مِنّا إذا دعا ربه يعلم أن قلبه يتجه إلى أعلى،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٢٢).

(٢) **صحيح**: د: (٤٩٤١)، ت: (١٩٢٤)، حم: (٢/ ١٦٠)، ك: (٤/ ١٧٥)، ش: (٥/ ٢١٤)، [«ص.ج» (٣٥٢٢)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٠٩٤)، م: (١٠٦٤). (٤) **صحيح**: م: (٥٣٧).

(٥) **صحيح**: م: (١٤٣٦).

دليلٌ من الفطرة السليمة أن الله في جهة العلو، فهو سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين. وهو غني عن العرش وما دون العرش، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

إخوة الإسلام: فإذا سُئِلنا: أين الله؟ قلنا: في السماء، وإذا سألنا مبتدع: كيف استوى على عرشه؟ قلنا كما قال الامام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

إخوة الإسلام: وربما سائل يسأل فيقول: وماذا نستفيد من أن الله ﷻ في كل مكان أو في السماء استوى على عرشه؟ ربما يخطر على بال إنسان هذا السؤال الخبيث فنقول: لقد سمعت أن رسول الله ﷺ عندما أراد أن يمتحن الجارية سألها: «**أين الله؟**» فلما قالت واعتقدت: إنه في السماء، قال لصاحبها: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»، فالإيمان: أَن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكذلك من الإيمان أن تعتقد أن الله ﷻ مستوٍ على عرشه فوق سمٰواته استواءً يليق بجلاله، فعندما تعتقد أن الله في السماء مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، فهذا من الإيمان. وعندما تقول: إن الله بذاته في كل مكان، فهذه عقيدة فاسدة جهمية ضَلَّ أصحابها وأضلّوا، فاحذروا ـ يا عباد الله ـ من دعاة السوء الذين يدعون الناس إلى هذه العقيدة الفاسدة، فالله ﷻ كما أخبر عن نفسه وكما أخبر عنه رسول الله ﷺ: الرحمٰن على العرش استوى فوق سماواته استواء يليق بجلاله، وهو معنا في كل مكان بسمعه وعلمه.

إخوة الإسلام: واعلموا أن الله ﷻ مع أنه مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، فهو مطلع على العباد عليم بأفعال العباد، ويسمع السر والنجوى، ويعلم السر وما أخفى ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهذه هي معيَّة الله العامة لكل المخلوقات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وبالمثال يتضح المقال: في الليل هذا القمر يكون مع المسافر هنا وفي بلد آخر أينما ذهب المسافر يكون القمر معه، وهذا القمر مخلوق صغير من مخلوقات الله. ولله المثل الأعلى، فالله ﷻ وهو فوق عرشه على سمٰواته معنا في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره.

واعلموا أن الله ﷻ ـ وهو مستوٍ على عرشه ـ مع المؤمنين الصادقين بحمايته وتأييده، ينصرهم ويحفظهم ويرعاهم، وهذه معية خاصة من الله ﷻ للمؤمنين.

قال ـ تعالى ـ لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وكما أخبر بذلك النبي ﷺ عندما قال لأبي بكر وهما في الغار: «﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾» [التوبة: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]؛ أي: معهم بتأييده وحفظه ونصره.

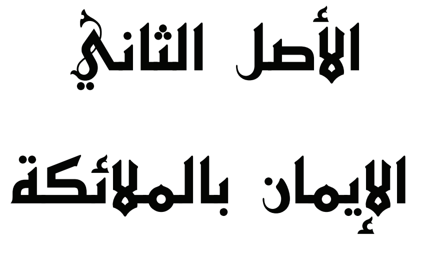
وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، فيجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وذلك لا يكون إلا أن يثبت المسلم لله ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله في سنّته، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تشبيه ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تكييف.

وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن توحيد الأسماء والصفات، وبه نكون قد انتهينا من الحديث عن الأصل الأول من أصول العقيدة، وهو الإيمان بالله.

وموعدنا في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ أن نبدأ الحديث عن الأصل الثاني من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة.

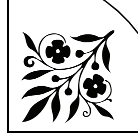
اللّهم إنّا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً





الأصل الثاني

الإيمان بالملائكة





١٩

الملائكة

عباد الله!

قلنا: إن العقيدة السليمة تقوم على أصول ستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وقد تكلمنا عن الأصل الأول منها ألا وهو الإيمان بالله ﷻ، وموعدنا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الحديث عن الأصل الثاني من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بالملائكة.

إخوة الإسلام: الإيمان بالملائكة من أهم خصائص المؤمنين. ومن مستلزمات الإيمان ومن أركان الإيمان، فلا حظَّ في الإسلام لمن كفر بالملائكة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ورسولنا ﷺ يقول لما سُئل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

عباد الله: والكفر بالملائكة كفر بالله ﷻ وضلال مبين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

فالذي يكفر بالملائكة كافر بالله ﷻ، وقد ضل ضلالاً بعيداً، وهو خارج عن ملة الإسلام.

إخوة الإسلام: الملائكة عالم من عوالم الغيب التي لا نراها ولكن نؤمن بها، فقد جاء في كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ذكر الملائكة وإن كنا لا نراها، فإننا نؤمن بها كما نؤمن بوجود العقل ولا نراه، ونؤمن بالروح في الجسد ولا نراها، فالله أخبرنا عن الملائكة فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالله أخبرنا أن الملائكة تصلي على رسولنا ﷺ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، فأخبرنا الله أن الملائكة شهدوا له سبحانه بالوحدانية، ومن أصدق من الله قيلاً؟! لا أحد. ورسولنا ﷺ أخبرنا في سنّته عن الملائكة؛ فقال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١)، وقال ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب**»(٢)، فأخبرنا رسول الله ﷺ عن الملائكة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الذي إلا وحي يوحى، فوجب علينا أن نؤمن بالملائكة وإن كنا لا نراها؛ لأن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين ومن صفات المتقين، فإن الله ﷻ وصف عباده المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، قال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

إخوة الإسلام: والملائكة لا نعرفها إلا من خلال الكتاب والسنّة فقط لذلك تعالوا بنا إلى الكتاب والسنّة لنتعرف على الملائكة: مِمَّ خُلقت؟ ولماذا خلقت؟ وما صفاتهم الخَلْقية؟ وما صفاتهم الخُلقية؟ وما هي

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: لس: (١١٦٥)، حم: (٤/٢٣٩)، مي: (٣٥٧)، فع: (٥٨)، طب: (٨/٦٣)، [«ص.ج» (١٩٥٦)].

علاقتهم بالله ﷻ؟ وما هي علاقتهم بهذا الكون، وما هي علاقتهم بك يا ابن آدم إلى أن تلقى الله؟ هذا ما سنعرفه في يومنا هذا وفي الجمع القادمة، إن شاء الله.

عباد الله: الملائكة خلقت من نور لقوله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»(١). متى خلقت الملائكة؟ الله تعالى أعلم، ولكن الله أخبرنا في كتابه أن الملائكة خلقت قبل خلق آدم، فقد أخبرنا الله في كتابه أنه أعلم الملائكة أنه سيجعل في الأرض خليفة ألا وهو آدم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، فخلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فتبيّن لنا أن خلق الملائكة سابق لخلق آدم.

عباد الله: الملائكة خَلْقٌ عظيمٌ، ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]، ورسولنا ﷺ رأى جبريل على هيئته التي خلقه الله عليها له ست مائة جناح سد بها الأفق، رآه على ذلك مرتين: الأولى في مكة، والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣].

يقول ﷺ: «**أُذن لي أن أحدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملةِ العرشِ ما بَيْن شحمة أذُنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**»(٢). خلق عظيم يعبدون الله ليلاً ونهاراً، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه هذه المسافة

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٦).

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٢٧)، طس: (٤/٣٥٦)، [«س.ص» (١٥١)].

الكبيرة! مخلوقات عظيمة! يسجدون ويركعون لله، وأنت يا ابن آدم يا من خلقت من طين تتكبر أن تسجد لله! أما تستحيي؟!.

• الملائكة وصفهم الله ﷻ بأنهم كرام بررة، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦]. ورسولنا ﷺ يقول: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة**»[1]؛ أي: مع الملائكة، نسأل الله أن نكون منهم.

• ومن أخلاق الملائكة الحياء، يقول ﷺ: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكةُ؟**»[2] يعني عثمان. وكان رسولنا ﷺ في ذلك الوقت كاشفاً عن فخذه فدخل أبو بكر ودخل عمر والرسول الله ﷺ على هيئته، فلما دخل عثمان غَطَّى فخذه وقال لعائشة: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**».

• الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة: وقد ضلت العرب في الجاهلية إذ جعلت الملائكة إناثاً، وقد كذبهم الله ﷻ وأعلمهم أنه سيسألهم يوم القيامة عن هذه الفرية التي افتروها على الملائكة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

• الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يملون، ولا يتصفون بصفات البشر، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨] الشاهد: أنه عليه السلام قدم لهم طعاماً، وأكرمهم على أنهم

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٥٤)، ت: (٢٩٠٤)، حم: (٦/٤٨)، حب: (٧٦٧)، لس: (١٤٩٩)، ش: (٦/١٢٨)، هب: (٢/٣٣٨)، [«ص.ج» (٥٤٩٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٤٠١).

ضيوف من البشر، ولكنهم كانوا ملائكة في صورة بشر فلم يأكلوا الطعام.

● الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، يقول ﷺ: «**من أكل من هذه البقلة: الثوم (وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث) فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذّى منه بنو آدم**»[١]، وفي رواية مسلم: «**من أكل من هذه البقلة فلا يقربنَّ مساجدنا حتى يذهب ريحها**»[٢] يعني الثوم. فليتق الله الذين يأكلون الثوم والبصل ويأتون إلى المسجد، وليتق الله الذين يشربون الدخان.

● الملائكة تسكن في السماء؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۝٣٨﴾ [فصلت: ٣٨]، فإن استكبر بنو آدم فالله غني عنهم.

فالملائكة في السماء تنزل إلى الأرض بأمر من الله للقيام بالمهام التي كلفوا بها، ولذلك يقول رسولنا ﷺ لجبريل عليه السلام: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟**»، فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [مريم: ٦٤]، ما ينزلون إلا بأمر من الله، وهناك مناسبات تنزل فيها الملائكة؛ ومن هذه المناسبات: أنهم ينزلون في ليلة القدر، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: ٣ ـ ٥].

● تنزل الملائكة من السماء لحضور مجالس العلم؛ يا طلاب العلم! يا من تكبرتم على العلم ما الذي يمنعك من التعلم؟ أصبحتَ عالماً؟! مهما وصلت من العلم فأنت لست أعلم من رسول الله ﷺ، رسولنا ﷺ يقول الله له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وكان دائماً يسأل الله علماً نافعاً، فكان ﷺ يقول: «**اللّهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»[٣].

---

(١) **صحيح**: م: (٥٦٤). (٢) **صحيح**: م: (٥٦١).

(٣) **صحيح**: هـ: (٩٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٤)، لس: (١٦٠٥)، ع: (١٢/ ٣٦١)، ش: (٦/ ٣٣)، هب: (٢/ ٢٨٤)، [«ص.هـ» (٧٥٣)].